

المقطف

الجزء السابع من المجلد السابع والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢ - الموافق ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣٢٠

السلم في بلاد البوير



اللورد كيتشنر



اللورد روبرتس

سَلِّم البوير للانكليز في اليوم الاخير من شهر مايو (ايار) وقد ثبت لهم انهم لا يستطيعون مناوأة امة لا نسبة بينهم وبينها في المال ولا في عدد الرجال وان اعتمادهم على غير الدهر ان ثقلب لخصومهم ظهر الحزن اضغاث احلام. واخذهم بهواعيد المغررين بهم ضعف في الرأي واستناد على الاوهام. وراوا من الامة التي تحاربهم شهامة وكرم اخلاق وعلموا ان اللاجئيين اليها يكرمون والمستظلين بظلمها لا يظامون. فالتقوا سلاحهم عن طيب نفس ورضوا بشروط التسليم ورحبوا بالحكومة الجديدة التي راوا ان لا بد لهم منها جارين على قول الحكماء اذا لم يكن لك ما تريد فارد ما يكون. فكانوا ابطالا بواسل في الحرب دهاة متبصرين في السلم يعرفون كيف يناهضون عدوهم وكيف يضافونه. ولوقبلوا هذا السلم على ضغن ولا موارج نفوسهم على عثم

كما فعل غيرهم من امم المشرق ما نالهم من هذه الحرب غير الصغار بعد خراب الديار. اما وقد قالوا للانكليز حاربناكم ما ظننا الحرب حزمًا وسالمناكم لما رأينا السلم غنمًا والدنيا مصالح وسنخلص لكم الولاء كما يخلصه ابناؤكم الادنون فلا يبعد ان نراهم بعد اعوام قليلة ممتزجين بالامة الانكليزية امتزاج الراح بالماء لهم ما لها وعليهم ما عليها يحسبون عزها عزهم وصولتها صولتهم فيتمون تحت رايتها ويفخون ويكون ابطالهم سيفها الصقيل. ولو فازوا بالاستقلال التام ما امكنهم ان ينشئوا لانفسهم دولة لها عشر صولة دولتهم الجديدة. واكبر ما يُعترض به على الحرب الماضية ما فقدته الامتان من المال والرجال اما المال فغادر ورائح ولا يضيع مال ينتقل من يد زيد الى يد عمرو من ابناء الامة الواحدة. فما انتقته الحكومة الانكليزية على الحرب بقي اكثره في يد ابناءها. واما الرجال فجراح الذين فقدوهم الية ولكن الزمان يبرئها ونكبة الامة بهم كبيرة ولكنها لا تقاس بنكبات الدهر ففي عشر دقائق قتل بركان يلي اضعاف من قُتل في هذه الحرب ولذلك شمل السرور الامتين المتحاربتين يوم وضعت الحرب اوزارها وشاركهما فيه اكثر امم الارض. اما شروط التسليم فهي هذه منقولة عن المقطم الصادر في ١٠ يونيو

المادة الاولى. يسلم البوير الباقون في ساحة القتال اسلحتهم وكل مدافعهم وبنادقهم وذخائرهم ويمتنعون عن المقاومة لسلطة جلالة الملك ادورد السابع ويعترفون بانهم ملكهم الشرعي. اما كيفية هذا التسليم وطرقه فيتفق عليها بين اللورد كتشنر والقواد بوثا ودلاري ودي وت

المادة الثانية. كل البوير الذين هم خارج حدود الترنسفال ومستعمرة اورنج واسرى الحرب الذين هم خارج جنوب افريقية يردون الى اوطانهم اذا قبلوا شروط الرعاية لجلالة الملك ادورد السابع ويكون ردهم اليها تدريجًا حالما تسمح بذلك وسائط النقل وتضمن لهم وسائط اعاليتهم

المادة الثالثة. البوير الذين يسلمون او يرجعون على مقتضى هذه الشروط لا يعدمون حريتهم الشخصية ولا املاكهم

المادة الرابعة. لا تقام دعاوى مدنية ولا جنائية على البوير الذين يسلمون او يرجعون على الوجه المتقدم ذكره وهذا العفو لا يشمل الذين ارتكبوا امورًا مخالفة لاصول الحرب المرعية التي اباعها القائد العام الى قواد البوير والتي تُنظر في مجالس عسكرية بعد انتهاء الحرب

المادة الخامسة. تعلم اللغة الهولندية في المدارس العمومية في الترنسفال واورنج حيث يشاء الوالدون تعليمها وتستعمل في المحاكم حيث يكون استعمالها اصح للقضاء بالعدل بين المتقاضين

المادة السادسة. يرخص باقتناء البنادق للذين يحتاجون اليها ليحموا انفسهم في مستعمرة اورنج على شرط ان يحصلوا على رخصة بذلك طبقًا للقانون

المادة السابعة . تستبدل الحكومة العرفية (الادارة العسكرية) في الترنسفال وفي اورنج باقرب ما يمكن بحكومة مدنية ثم تعطين حكومة نياية توطئة للاستقلال الاداري (الاستقلال في الشؤون الداخلية) حالما تسمح الاحوال بذلك

المادة الثامنة . لا يفضل في مسألة اعطاء حقوق الانتخاب للوطنيين الا بعد تقرير الاستقلال الاداري

المادة التاسعة . لا تضرب ضرائب خصوصية على العقارات في الترنسفال وفي مستعمرة اورنج لسد نفقات الحرب

المادة العاشرة . تعين لجنة يشترك فيها اهالي البلاد في كل قضاء من افضية الترنسفال ومستعمرة اورنج برئاسة رجل من اهل القضاء او موظف آخر حالما تسمح الاحوال بذلك لرد الاهالي الى اوطانهم ومساكنهم واعطائهم ما يلزم من الطعام والمأوى والمواشي والبذار (التقاوي) والآلات وغيرها مما لا غنى عنه للذين باتوا غير قادرين على اقتناء شيء من ذلك بسبب الخسارة التي خسروها في الحرب

وستضع حكومة جلالة الملك ثلاثة ملايين جنيه تحت امر تلك اللجان للغاية التي تقدم ذكرها . ثم ان السندات التي كتبتها جمهوريتا جنوب افريقية طبقاً لقانون سنة ١٩٠٠ وجميع الوصولات التي اعطاها ضباط الجمهوريتين السابقتين المحاربون او اعطيت بامرهم تعرض على لجنة قضائية تعينها الحكومة فاذا رأت هذه اللجنة ان تلك السندات والوصولات اعطيت على اشياء ذات قيمة تحسبها اللجان التي تقدم ذكرها من الاوراق المثبتة للخسارة الحربية التي خسرها من اعطيت له والا فلا

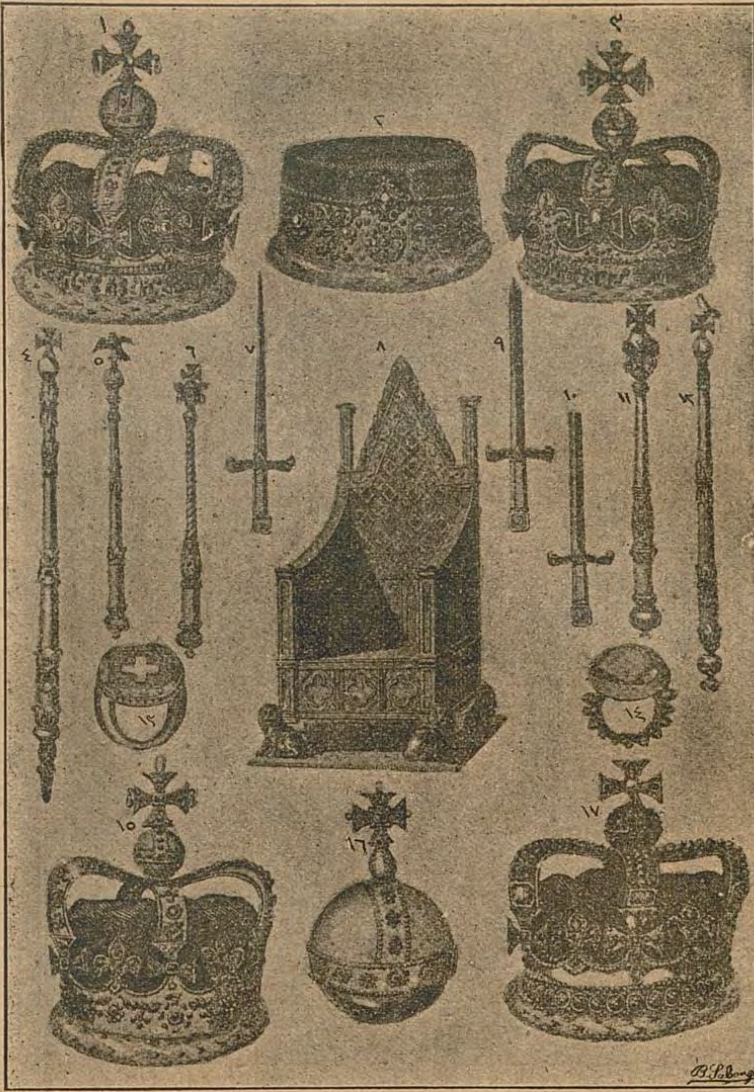
هذا وحكومة جلالة الملك مستعدة لاقرض البوير لمثل هذه الغاية ايضاً اموالاً بلا ريباً مدة سنتين وتستردها منهم بعد عدة سنوات بربا ٣ في المئة وذلك عدا الثلاثة الملايين الجنيه التي تعطى لهم هبة ولا يحق لاحد من الاجانب او من العصاة ان ينتفع باحكام هذه المادة وقد وقع هذه الشروط اللورد كتشنر واللورد ملنز بالنيابة عن الحكومة البريطانية وعشرة من مندوبي البوير ستة منهم بالنيابة عن الترنسفال وهم شاك بجروربتز والقواد لويس بوثا ودلاري ولوقامير وكروغ واربعة بالنيابة عن اورنج وهم القواد دي وت بالاصلة عن نفسه والنيابة عن ستين رئيس جمهوريتها السابق وبرنر واوليفيه والقاضي هرتزوج

وادار الانكليز رحي هذه الحرب بقوادهم المشهورين نخص منهم بالذكر اللورد ريرتس واللورد كتشنر اما اللورد ريرتس فاستلم القيادة العامة حينما رأى الانكليز ان خصمهم اقوى

مما قدرُوا وانه لا بدَّ لهم من ان يرموهُ باعظم رجالم الذين اذخروهم لنواب الدهر. ثم تبينوا ان جنديتهم تستدعي الاصلاح من مركزها فاعادوا اللورد ريرتس الى بلاد الانكليز ليتولَّى ادارة الجنود العامة وابقوا اللورد كتشنر في ساحة الوغى فذلَّ الصعاب ومهد العقاب ولقي الاعداء بعزم يفل الحديد الى ان فاز فوزاً مبيناً فضمَّ الى بلادهم بلاداً وافرة الغنى والى امته امهاتهماها اسود الشرى

وكان عدد جنود البوير في بدء القتال نحو خمسين الفاً وعندهم من الميرة ما كفاهم هذا الزمن المديد. وبلادهم بعيدة الاطراف وعرة المسالك وهم وحدهم العارفون بجاهلها ومكاهنها وبقي منهم في ساحة القتال وقت التسليم نحو تسعة عشر الفاً. وكانهم حسبوا ان نواب الدهر قد نقضي على الانكليز بمصالحتهم إما بثورة تحدث في ممالكهم حينما نقل جنودهم منها او بغاضبة الدول الاوربية لهم او بما بدا من طمعها ببلاد الصين. لكن خاب فاهم واتحدت انكلترا واليابان اتحاداً يضمن سلامة الشرق الاقصى وظلَّت دول اوروباً معها على الموالاة والمصافاة حتى اذا لم يبقَ في قوس الرجاء منزع رأى قواد البوير ان لا بدَّ لهم من القبول بشروط التسليم المعروضة عليهم فاجتمعوا في بريتوريا مع اللورد ملنر واللورد كتشنر في اوائل شهر ماير الماضي وظلوا في اخذ ورد الى ان افتنعوا واقنعوا رجالم بالقبول فامضيت الشروط على ما تقدَّم وكان التسليم يجري على هذا النمط: يذهب قائد البوير مع قائد انكليزي اي حيث يكون جنود البوير ثم يسبقه اليهم ويكلمهم في الامر ويقنعهم ان التسليم صار اسلم لهم عاقبة وان كل ما فيه انما هو انتقالهم من حكومة الى اخرى ويكتب اسماء ضباطهم. فيسألونه عن كل ما يخطر لهم وهو يجيبهم الى ان يقتنعوا بصحة قوله ثم ينشدون نشيداً دينياً ويعظمهم قسيسهم عظة دينية وحينئذٍ يصل القائد الانكليزي فيخطب فيهم خطبة وجيزة ترحيباً بهم فيشكرونه ويمرُّون امامه وهم يطرحون ما معهم من البنادق والميرة وكثيرون منهم لا يملكون انفسهم عن البكاء حينما يلقون بنادقهم من ايديهم لكنَّه البكاء عند وداع الف عزيز لا على فقد حق او حلول مكروه. ويكون القائد الانكليزي قد اعدَّ لهم الطعام فيسيرون اليه ويأكلون امّا ضباطهم فيعطيهم اذنّاً لتبقى اسلحتهم معهم. ويشرع رجال البوير حينئذٍ يسألون عن عيالهم وعمّا اذا كان يجوز لهم الاجتماع بهم حالاً وتعطى كل عائلة خيمة وموؤنة عشرة ايام

ويظهر ممّا يروى عن رؤساء البوير وممّا قرأناه من خطبهم ومنشوراتهم ان غرضهم الاكبر الآن ان يميلوا بقلوب شعبهم الى مراعاة الانكليز ومصافاتهم حاسبين انه اذا تمَّ لهم ذلك فالانكليز لا يعاملونهم معاملة امّة مغلوبة مقهورة بل معاملة امّة انضمت اليهم وصارت منهم



ادوات تتويج ملوك الانكليز المشار اليها في الجزء الماضي (١) تاج سنت ادورد
 (٢) اكليل الملكة (٣) تاج الملكة (٤) صولجان الملك (٥) الصولجان ذو الحمامة
 (٦) الصولجان ذو الصليب (٧) سيف العدل الزمني (٨) كرسي التتويج (٩) سيف
 العدل الروحي (١٠) سيف الرحمة (١١) صولجان الملكة (١٢) قضيب العاج الذي للملكة
 (١٣ و ١٤) خاتما التتويج للملك والمملكة (١٥) التاج الذي تتوج به الملكة (١٦) كرة
 الملك (١٧) التاج الذي يتوج به الملك

لها ما لهم وعليها ما عليهم وهذا هو الفوز الاكبر فيستفيد البوير والانكليز معاً لان البلاد واحدة وخيراتها كثيرة تكفي اهلها ومن يهاجر اليها ومتى تساوى السكان في الحقوق المدنية يبقى السبق لذوي الهمة العالية

وقد انصف الانكليز البوير وتراهم يظنون بيسالتهم كما خاطبوا فريقاً منهم في امر التسليم ويقولون له ان الملك نفسه قد ارسل يحميك ويثني على بسالتكم فتبرق اسررتهم ويدعون له بالنصر وتكبر نفوسهم بعد صغرها ويستسهلون التسليم الى من يقدروهم قدرهم

ولما تم التسليم بعث اللورد كتشير الى قواد البوير الثلاثة بوثا ودلاري ودهوت تلغرافاً يقول فيه : لقد تم الان تسليم الاسلحة في الترشفال وكولونية نهر الاورنج ولذلك اردت ان اعلن على رؤوس الاشهاد ما رأيته من الهمة والدراية في تسهيلكم عمل رجالي فبهتمكم ونصائحكم قبل رجلكم تغيير الحكومة عن طيب نفس واؤكد لكم ان الولاة الذي اظهروه رجلكم قد سر جلالة الملك سروراً عظيماً وجوّل اليكم قلوب الامة الانكليزية التي ترحب بكم كاخوان لها في الرعوية واثق انا قد ابتدأنا الان بعصر تعيش فيه كل الامم القاطنة جنوبي افريقية على تمام الوفاق والوئام

وغني عن البيان ان هذه الحرب التي انفق عليها الانكليز اكثر من مئتي مليون جنيه عادت عليهم بربح سياسي يفوق المال الذي انفقوه اضعافاً مضاعفة فاثبتوا للمالك اوربا واسيا ان مستعمراتهم اعضاء حية منهم متصلة اعصابها بالراس نتالم لالمه وتستريح براحتهم وتعاونهم بالمال والرجال وانهم يستطيعون ان يرموا خصمهم باكثر من مئتي الف من الجنود ولو كان في اقصى المعمور من غير ان نقل حمايتهم او تفرغ خزائهم . ثم هم لم يغلبوا بلاداً ويتركوا اهلها خصوصاً لهم يخشى شرهم ويتوقع انتقاضهم دوماً بل اصطنعوه بالمعروف بعد ان كسروا شوكتهم . وهم موطنون النية الان على ان يتعوه بالحقوق المدنية التي يتمتع بها اخوانهم من اهالي المستعمرات الانكليزية فيكون شأنهم مثل شان اهالي بلاد الراس ومثل اهالي استراليا وكندا

وقد كتبنا في اليوم الاخير من شهر مايو سنة ١٩٠٠ ما نصه " وستضم تلك البلاد الى الممالك الانكليزية فاذا رضي اهلها بما قدّر لهم وامتزجوا بالانكليز عن طيب نفس شاركهم في كل الحقوق والامتيازات ولم يعد ابناءهم يفرقون عن ابناء الانكليز كما لا يفرق بين ابناء الشعوب المختلفة المؤلفة منها الامة الانكليزية " (انظر المقتطف الصفحة ٥٥٦ الصادر في يونيو سنة ١٩٠٠) ولم يخطر ببالنا حينئذ ان هذا القول يحقق حكماً بعد سنتين كاملتين فتمضى شروط الصلح في اليوم الاخير من شهر مايو سنة ١٩٠٢ والامور مرهونة باوقاتهما

السيد عبد الرحمن الكواكبي



الرجال ثلاثة شريرون ضررهم أكثر من نفعهم فهو عضو فاسد في جسم العمران لا يؤسف على انفصاله منه . وخامل لا يرجي خيره ولا يخشى ضيره يحيا لنفسه حياة حيوانية او نباتية يصح ان يقال فيه ان عاش اومات على حدٍ سوى . وفاضل نفعه أكثر من ضرره او هو خير بلا شر ونفع بلا ضرر وهذا الفريق ليس قليلا . ولكنهم متفاوت الدرجات . والذين بلغوا من الفضل والكمال مبلغا كبيرا حتى صاروا نفعاً محضاً لابناء نوعهم قليل عددهم لكنهم ملح الارض ويظهر لنا اننا فقدنا واحداً منهم في خلال هذا الشهر رجلاً سماء الفضل في وجهه ودلائل سعة العلم ونبالة الغاية في حديثه لم نلح لنا معاشرته الا برهة وجيزة لكن الفضل لا يخفى والقرائح لا تستتر وقد شق علينا فقدنا لاننا نعد خسارة البلاد الشرقية به عظيمة وطلبنا من احد مريديه ان يقتطف المقتطف ببعض ما يعلمه من امره عسى ان تنبه قراءته بعض النفوس الزكية لتتناول العمل

الذي تركه وتنبج على منواله فكتب الينا الفصل التالي وكأنه نطق بلساننا في وصفه وزاد اموراً لا نعرفها من تاريخه قال

” قال احد اساطين العلماء المعاصرين وقد جرى في حضرته ذكر النهضة الاسلامية الحاضرة : ارى في هذه الشجرة الجرداء بعض اوراق خضر وما ادري هل هي بقايا القوة القديمة او هي دلالة على حياة جديدة

هذا ما قاله العالم المشار اليه وسواءً حجج حكمه على هذه الاوراق او لم يصح فقيد هذا الشهر السيد عبد الرحمن الكواكبي هو ولا شك احد تلك الاوراق بل تلك الاغصان الخضر التي كان يرجي منها ان تمتد وتلتف لولا ان صوّحت قبل اوانها

صاحب الترجمة كان كبيراً في عقله كبيراً في همته كبيراً في علمه ولد في حلب سنة ١٢٦٥ هـ من اسرة عريقة في العلم مشهورة بالسيادة من سلالة السيد ابراهيم الصغوي الذي هاجر من اردبيل قبل اربعائة سنة وكان من اهل الامارة وزعماء الناس . ولما كان في السادسة من عمره اخذته عمته من والده الى بلدها انطاكية وكفاته نحو ثمانين سنين فاحسنت كفالته وكانت من النابغات في الدهاء وحسن التربية والعقل فاخذ عنها النقيذ ما ظهرت عليه اماراته بعد بابهي المظاهر ولما رجع الى حلب يافعاً سلمه والده الى اساتذة عصره فدرس علوم الادب والشريعة وبرز فيها على اقرانه واجازوه بما لقنه عنهم الا انه لم يكتف بتلك العلوم وسمت به المهمة الى مطالعة ما يتعلق بعلم الاجتماع من تاريخ وفلسفة ثم درس العلم الطبيعي والرياضي على اساتذة خاصة فنال من كل ذلك حظاً وافراً

ولم يكد يبلغ الثانية والعشرين من عمره حتى اصبح فريد مصره وما زال الزمن يمنحه وعشرة الرجال تنعته حتى حرر جريدة ” الفرات ” واصر في اثناء ذلك جريدة ” الشهاب ” اُقفلت بعد حين ثم وسدت اليه وظائف عديدة في خدمة الحكومة فقام باعبائها كلها قيام الرجل البصير الذي لا يرغب الا في ادخال الاصلاح حيث حل . وله في ذلك آثار يعرفها ابناء وطنه كاصلاحاته في المحكمة الشرعية والمجلس البلدي وغرفة التجارة والزراعة والصناعة وادارة حصر الدخان وغيرها من الوظائف الكثيرة الكبيرة

بيد انه كان من طبع النقيذ ان يقول الحق ولو على نفسه ومن كان هذا حاله يقاسي الامرين ولا يهدأ له بال فكان ينصح بعضهم بالرجوع عن الجور والعسف فحنقوا عليه من جراء ذلك وتواطأ بعض العمال مع الاعيان عليه وساموه من ضروب التنكيل الواثماً فصبر على ما اصابه مما يصيب في العادة المنورين العقلاء في البلاد الشرقية

حتى اذا ضاق صدره من النكبات خرج من بلده فجاء مصر ثم ساح سياحين عظيمتين الى بلاد العرب وشرق افريقية وبعض بلاد الهند اتى منهما بفوائد جليلة ليته توفى الى تدوينها وقد نشر في مصر كتابين مبتكرين وهما "ام القرى" و"طبائع الاستبداد" وكلاهما يدلان على فضل الرجل وعقله شتّص فيهما امراض الشرق تشخيص حكيم بصير بهزاج المريض واعراض اسقامه ووصف له ما ارتاه من الادوية الناجعة فاجاد وافاد

امّا صفات الفقيه فكانت من احسن ما ينبغي ان يكون عليه رجال النهضة فما عرف بهنكر ولا توانى في امر بدأ فيه ولا تنجر ولا تمل . وكان رحب الصدر خلاّماً للالباب اذا ضمك وايّاه نادى لا تريد فراقه من بعد . فكان يخاطب الناس على قدر عقولهم فهو سياسي محنك مع الساسة وعمراني اجتماعي مع علماء العمران وعالم ديني مع علماء الدين وتاجر مع التجار وزارع مع الزراع وصانع مع الصناع وعامل مع العمال وكبير مع الكبراء بحيث كان الناظر اليه لاول وهلة يقرأ في جبهته امارات العقل والخبرة الطويلة والعلم الوافر

وقد صادفنا الحظ فاجتمعنا به مراراً رأيناه فيهما من العطاء الذين لا يتيسر لبلادنا ان ينبغ امثالهم فيها كل حين وشهدنا منه رجالاً واسع المادة بعيد غور العقل يتكلم عن روية ولا ينطق عن هوى عليه سناء الكتابة ممّا مني به . واكد لنا احد المتعلقين به انه كان لا يجاريه تجار في الوقوف على احوال الشرق واماراته وحكامه قديمها وحديثها وكان اعرف العارفين بتاريخ العثمانيين وتراجم رجالهم المعاصرين والغابرين

ولما كان في حلب حاول اموراً كثيرة لم يجب طلبه فيها منها طلب امتياز بالانشاء مرفأ في السويدية ميناء انطاكية وخط حديدي من السويدية الى حلب وجرمياه نهر الساجور قرب مدينة عينتاب الى حلب فتعمر بذلك اراض كانت قاحلة جرداء وجرعين البليعة من ارمناز الى ادلب ليحيى القضاء ان وكان احدها غامراً بالمياه والاخر لا مياه فيه وانارة حلب وبيره جك ومرعش وادرنه بالكهربائية بواسطة قوة الخمدار الماء في نهر العاصي قرب دركوش في محل اسمه المضيقي في جسر السقور . ونال امتياز معدن ارغبي من اعمال ولاية حلب استخرج فلزه ثلاث سنوات ونحو ذلك من الآثار التي تدل على كبر همته وعلو نفسه

وبالجملة فالفقيه يعد من كبار رجال النهضة الحديثة في هذه الديار الا ان المحيط لم يساعده والاجل لم يمهل حتى يتم مقاصده السياسية والدينية على ان النعمة التي ضرب عليها قد استمعت بعض الناس ولو لم يهبط مصر لكان دفن مع من دفن في تلك البلاد ولم يعرف عقله ولا فضله رحمه الله رحمة واسعة وعزى فيه الفضيلة والعمل

نشأة أوربا المدنية

الركن الرابع . افتتاح القسطنطينية

ان مدير الاكوان الذي بيده النصر يؤتيه من يشاء وهو على كل شيء قدير قيض فتح القسطنطينية للسلطان محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ . وهذه الحادثة هي النقطة التاريخية الكبرى الفارقة بين التاريخ المتوسط وبين التاريخ الحديث . وفي تلك النقطة بلغ الاسلام اوج مجده ونال الارب من عرش الروم فقلبه ولكن بعد ان تهدد هرقل باكثر من تسعمئة سنة كما نالت النصرانية اربها سابقاً من العرش الروماني فقلبته بلا حرب ولا قتال . على ان هذا الفوز تأخر عن وقته ولم يعد في الامكان ان يحسب مقدمة لغزو أورباً كما يظهر من تواريخ القرون الثلاثة التي تلت افتتاح القسطنطينية . وعوضاً عن ان يلاشي الاسلام الديانة المسيحية من أورباً كما لاشاها من افريقية او يضعفها الى حد الموت كما في اسيا فقد خدمها خدمة جليلة حتى كان افتتاح القسطنطينية من اعظم الفوائد لاورباً والنصرانية

فقد كان لذلك الفتح دوي هائل في عواصم أورباً طنت به اسماع الامراء والملوك فاستنهض همهم وجمع اشتات قوتهم لصد من حسبته أورباً العدو الالدها

وخدم ذلك الفتح أورباً من وجه آخر اذ امدّها بصفوف المتأدبين ارباب البحث والطلب الذين شق عليهم ان يبقوا في بلادهم بعد خضوعها للغريب عنهم جنساً ومذهباً فضربوا في الديار الغربية حاملين معهم الاسفار والرقوق المخرّجة مباحث ذلك العصر وآثار العصور الخوالي وانبتوا في اقطار أوربا وبثوا فيها تلك الافكار انبثاث الاشعة النورانية في الواح الزجاج فتشعشت منها انوار المحبة والبهاء . وبذلك امتاز فتح القسطنطينية عن الحملات الصليبية لان تلك حملت لاوربا بعض الافكار ولكن هذا حمل اليها رجال الافكار انفسهم . وكان نقاط تلك الجماهير الى قلب أوربا محرّكاً لاجساسات الاخاء وسائر آثار الاحقاد والضغائن بين اللاتين واليونان . فزاد ذلك الحركة العقلية قوة وانتشاراً . وصارت أوربا غنية بازكان النشأة وادركت ما كانت تحلم به اخواتها من قارّات الدنيا في غابر الازمان

الركن الخامس . اختراع الطباعة

الطباعة يد المدنية والمعارف بها تنتشر العلوم والفنون بسرعة وسهولة لا يمكنان بدونها . فكل بلاد خلت من المطابع والمطبوعات يتعدّر عليها السير الحديث في مضمار الادب . ويتضح ذلك من النظر في سياحة المعارف قبل استنباط آلة الطبع وبعده . فكم كانت يعسر على

الباحثين تحصيل العلوم قبل وجود المطابع اذ كانوا يلتزمون ان يجوبوا الآفاق للاطلاع على مستودعات الافكار المذخورة في المكاتب الشهيرة كمكتبة الاسكندرية ومكتبة الفاتيكان وغيرها . كان الباحثون يقصدونها من اقاصي اوربا كما يقصد الاثريون في ايامنا خرائب بابل وطيبة وطر وادة من اوربا واميركا ليفتشوا عن حجر مكتوب او عمود منقوش او قطعة قرميد رسمت عليها رسوم تضيف الى التاريخ القديم بعض الحقائق المجهولة

وكم كانت النساخة صعبة وما اكثر النفقات التي تستلزمها . فان مؤلفات رجل واحد شهير قد تستغرق حياة كاملة للحصول على نسخة كاملة منها فكم يلزم من التعب والوقت والنفقات والاعناء للحصول على نسخ عديدة من مؤلفات كثيرين وهذا آل الى انحصار المعارف في قليلين من اصحاب المواهب وعجز الكثيرون عن ادراكها

وسنة ١٤٣٨ توفى يوحنا غوتنبرغ الى اختراع آلة الطبع فظهرت لاهل ذلك العصر من اغرب الغرائب حتى نسبوها لاعمال الجان لما راوه في النسخ العديدة من الاتفاق في عدد الصفحات والسطور وترتيبها واللوان خبرها فامسكوا حاملها ولم يتركوه حتى اطلعهم على سرها وبين لهم انه لا مدخل للجان والشياطين فيها

وكان اول المطبوعات نسخة من الانجيل طبعت في مدينة ليبسك من اعمال المانيا فبادر الناس الى مطالعتها ولم يمض وقت طويل حتى ملأت المطبوعات الاقطار الادبية وانتشرت بواسطتها الافكار الشريفة باكثر سرعة وسهولة . وازدانت البلدان الاوربية بما لا يحصى من انواع الكتب والجرائد المفيدة التي يحمل منها يومياً من مملكة الى مملكة قناطير مقنطرة واستطاع الانسان ان يشارك العالم الواسع بافكاره وهو جالس في بيته ويسبح في كل الاقطار وفي كل عصور التاريخ ويقف على كل المبادئ والآراء التي في العالم

ووفت الطباعة بما يحتاج اليه العالم لاجل النشأة الجديدة لان الافكار الشريفة لا يحتاج الا الانتشار لكي تسود فالطباعة سيف المدنية الصقيل الذي به بترت وتبين الجهالات وقبوض الخشونة التي كبكت ايدي العمران عن ان يأتي بما فيه سعادة النوع الانساني . فانجالت الوثق التي كانت تربط ايدي مشاهير العاملين في الدنيا وتمكنوا من اخدم الجليلة التي كان المجتمع البشري في شديد الافتقار اليها . وكانت امريكا محجوبة يومئذ بحجب الخفاء عن اعين العالم المتمدن واسياً ترسف في قيود الاستبداد وافريقية مكتنفة بغياهب الظلمات والمظالم التي تحول بينها وبين الحياة الادبية فانحصرت تأثير المطابع في اوربا وفي القسم الغربي منها على الخصوص الذي هو مهد النشأة الحديثة

الركن السادس . الاكتشافات البحرية

دخلت بحرية اوربا وقت الحروب الصليبية في طور جديد لم يعده العالم من قبل . فان
مراكب الفينيقيين القدماء والسفن الرومانية التي كانت سيدة البحار قلما جاوزت شواطئ البحر
المتوسط وشرقي الاطلانتيك وطرف البحر الاحمر . اما في القرن الرابع عشر فسارت سفن اوربا
من اقاصي الشمال واخذت تشق عباب الاوقيانوس الهندي والباسفيك حتى بلغت الاقاصي
المجهولة وكانت الاولى في هذا المضمار للبرتغاليين والهولنديين وتلاههم الاسبان والفرنسيين
فالانكليز فالاطليان . وكانت بدءاً الحركات البحرية التجوال حول الشواطئ الافريقية فاكشفوا
راس الرجاء الصالح ومنه انتج الطريق البحري الى هندستان فصارت سفن اوربا تسير الى
الاقسام الشرقية من قارة اسيا دائرة حول افريقية

وبعد ذلك عن كولومبوس الايطالي ان يقصد الهند من طريق بحري جديد من غير ان
يدور حول افريقية وابقن انه اذا سار غرباً يصل الهند . ولما عرض رأيه على غيره صادف
ما يصادفه كل مكتشف من الصعوبات والموانع حتى اتاح له الحظ التوصل الى ملكة اسبانيا
فمدت اليه يد المساعدة وسار قاصداً بلاد الهند فساقت يد العناية الى جزائر الانتيل وكان
ذلك في سنة ١٤٩٢ فسميت جزائر الهند حسب انهما من هندستان . ثم لما تبين انها ليست
كذلك سميت جزائر الهند الغربية تمييزاً لها عن هندستان التي تدعى الهند الشرقية . واخذت
المراكب تنقار من اوربا الى تلك الاقطار وذلك بعد رجوع كولومبوس واذا عثر اخبار
الاكتشاف . وتوالت الاكتشافات حتى كشفت اميركا الشمالية واميركا الجنوبية وجزائرها .
وكان ذلك من انفع العوامل في احداث النهضة الاوربية كما يتضح مما يأتي

ولما قبضت اوربا على ازمة امريكا ساقط اليها مراكبها مشحونة بالرجال والجنود لامتلاك
الكنوز واحراز المعادن الذهبية والفضية المذخورة فيها . فدخلوا براريها الواسعة ورقوا جبالها
العالية ومخروا في انهارها العظيمة وجنوا ثمارها وغالها واستخرجوا معادنها الثمينة . ونفاطرت
الاقوام الاوربية اليها جماعات للاستعمار والمتاجرة والتمتع بحرية الافكار

ومن المحقق ان اكتشاف امريكا الى زيادة الرغبة في الاسفار البحرية فاكشف كثير
من الجزائر وكشفت بقية اقسام اسيا اعني الصين واليابان وكوريا واستراليا وغينيا الجديدة
وجزائر الباسفيك . فكل رسم خريطة الارض واتسعت دائرة التجارة وزادت حركة الصناعة
وكثرت المعدات البحرية بنفونها من حرية وهندسية وميكانيكية لاجل حماية المتاجر والمستعمرات
فتمكنت اوربا من احراز الثروة الطائلة والشهرة الذائعة وبسطت حمايتها على اكثر اقسام المعمور

وإذا شئت ان تعرف نسبة الامم الاوروبية الى النشأة الجديدة فيمكنك ان تجعل نسبة بين بحريتها ومقامها لان البحرية هي سر الرفعة في هذه الاعصر كما قال امبراطور المانيا الحالي " ان مستقبل الامبراطورية الالمانية يتوقف على بحريتها ". وقد سبقه الى ادراك هذه الحقيقة الدولية بطرس الاكبر قيصر الروس من مدة مئتي سنة . فحصى من بلاده الى هولندا وانكلترا حيث اتقن صناعة بناء السفن وارسل بعثة من شبان بلاده لنقل ذلك السر الذي يتوقف عليه اساس الفوز العظيم في سيادة الامة . ولو كانت لروسيا قوة بريطانيا البحرية لما سبقتها هذه الى نشر رايتها فوق اربعمئة مليون في اقسام مختلفة في الكرة الارضية وخلاصة الكلام ان اكتشاف اميركا حرك اوروبا وفتح لها بابا واسعا للعمل في اقليم حسن التربة صالح لمغروسات الفكر يثر اثمارا وافرة للعاملين فيه وذلك رفع اوروبا رفعة لم تكن تحلم بها الامم التي عاشت في الاعصر السالفة

الركن السابع . الاصلاح الديني

ان الاختلاف في هذا الموضوع كاهميته في التاريخ البشري . فانك بينما ترى البعض يحسبونه اعظم بركات العالم الادبي واقوى العوامل في احداث النشأة الاوروبية الحديثة ترى غيرهم يعبه من الهنات الهينات التي لا علاقة لها بمجداث العمران المعاصرة والتالية . على ان منشأ الاختلاف المذكور انما هو التعصب المذهبي وليس ذلك من اغراضنا هنا ولا ريب في ان الجانب الاكبر من الكتاب والمحققين من الراي الاول

على ان النظر الفلسفي في ماجريات الامور لا يمنعنا من انتقاد الاصلاح الديني ووزنه بميزان العقل لاكتشاف نتائج الادبية في ساحة العمران . وقد يقال ان الاصلاح المذكور انشأ مذهب البروتستانت فقط وليس الامر كذلك لان حركته لم تكن دينية محضة بل كانت نتيجة عوامل عديدة سياسية وادبية ودينية . ولو كانت مجرد انتباه ديني للزم ان تتأخر نتائجها ونقتصر على التأثير في الافراد سنة فسنة . ولكننا نراها قابلت الممالك والامم صفقة واحدة وليس ذلك من التأثيرات الدينية المحضة

على اني بقولي هذا لا انكر ما لتلك الحادثة من الصفة الدينية الجليلة ولولا هذه الصفة ما نهض البلاط الفاتيكانى لمعارضتها وآلف الاحزاب والجمعيات والكتب واقام الواعظين والمجادلين لمعارضتها ومناصبتها في كل الاقاليم فالحادثة اذا مركبة ونتائجها كذلك . واذا نظرنا اليها من الجهة الدينية لا نرى انها علة لتلك النهضة بل ثمرتها ونسبتها الى النهضة الدينية كنسبة اكتشاف اميركا الى الاسفار

البحرية . فان اكتشاف اميركا لم يكن علة الاسفار البحرية بل تيجتها ولكنه مع ذلك فتح لتلك الاسفار مجالا جديداً حتى انها لم تكن قبله تحسب ذات اهمية بالنسبة الى ما صارت اليه وعليّ الآن ان ابين علاقة ذلك الحادث العظيم الذي هو الاصلاح الديني بالنشأة الاوربية فاقول

ان الحياة الادبية مقرونة بالتحقيق على الدوام فهي تستلزم البحث والتنقيب وتطلب حرية الفكر والضمير . واذا كنا نحسب حرية الفكر البشري من ذرائع التقدم المدني فيحق لنا اعتبار الاصلاح اعتباراً فائقاً من هذا القبيل لانه اذا لم يكن قد خدم أوروبا بشيء على الاطلاق فقد قام بهذه الخدمة على الاقل وهي تحرير العقل البشري . وهذا كل ما يحتاج اليه العقل للاتيان بغرائب اعماله

ولقد كان من رأي العلامة الفيلسوف كيزو الفرنسي الشهير ان الاصلاح بمثابة ثورة العقل البشري ضد العبودية الفكرية وان الاصلاح البروتستانتي كان مظهرًا من مظاهر تلك الثورة . ويتضح ذلك من ان مبدأ الاصلاح الديني يحوي جوهرياً على هذه القاعدة الاساسية وهي انه يحق لكل انسان ان يحكم في صحة ما يعتقده فبدأ حرية الفكر هذا الذي ناضل عنه الاصلاح هو مبدأ الانسانية والاجتماع البشري والحياة المدنية

ويظهر تأثير الاصلاح الديني في العمران من وجهين الاول . من المقابلة بين احوال أوروبا قبل الاصلاح وبعده فانك تجد الفرق العظيم بين الحاليين في الادبيات والماديّات على انواعها

والثاني . من المقابلة بين الممالك التي قبلت الاصلاح والممالك التي رفضته فانك تجد الفرق العظيم بين النمسا والمانيا وبين اسبانيا وبريطانيا وبين الولايات المتحدة واية جمهورية كانت في اميركا فحرية الفكر البشري التي يفتخر بها التاريخ الحديث هي اولى ثمرات الاصلاح

وترقية الحياة الادبية والاجتماعية هي ثانية تلك الثمرات وانتباه الامم جمعاء للاصلاح الديني هو ثالث تلك الثمرات والقيام لشعر المبادئ الادبية في دائرة واسعة يصح ان يحسب في عداد تلك الثمرات ايضاً وكثرة التأليف والجمعيات والمدارس والجرائد من الامور التي تقدمت في عصر الاصلاح خلاصة ما تقدم

الركن الاول . المدارس . امد أوروبا برجال الحياة العقلية فخدموها بالتأليف والاكتشافات

الركن الثاني. الفروسية. امدّها برجال الشهامة وروح الاستقلال الشخصي فخدموها بانفسهم
الركن الثالث. الحروب الصليبية. نقلت الى اوربا مفاخر الشرق وصدت عنها ويالاته
الركن الرابع. فتح القسطنطينية. جمع احساسات الاوربيين وزاد عدد الافاضل
المهاجرين اليها فخدمها بترقية العلوم
الركن الخامس. الطباعة اوقدت سراج الآداب في اوربا وسهلت انتشار المعارف فيها
فخدمتها بنمو المعارف
الركن السادس. الاكتشافات البحرية. زادت حركة الصناعة والتجارة. ومنحت حرية
الافكار ملجأ. فخدمتها بالمال والعلم
الركن السابع. الاصلاح الديني. امدّها اوربا برجال الافكار الحرة والنظامات الجديدة
وايقظ روح البحث والاصلاح في كل مكان وهذه الاركان السبعة متناسبة كما يأتي
الاركان الثلاثة الاولى متصلة بعضها ببعض لان المدارس ايقظت روح الادراك في
الناس والفروسية روح الشهامة وقد اجتمع الاثنان في الحملات الصليبية
والاركان الثلاثة الاخيرة متصلة ايضاً لان الاصلاح منح اوربا حرية الفكر والطباعة
ساعدت في سرعة نشر هذه الحرية وامركا كانت ملجأ المهاجرين بسببها
اما فتح القسطنطينية فقد كان الحلقة المتوسطة بين هذه وبين تلك وهو الفارق بين التاريخ
المتوسط والحديث وبه دخلت اوربا في طور جديد واستعد العالم لمستقبل عظيم
(خادم للانسانية)

نظام الملك والمدرسة النظامية

يرى الناظر في ماضي الشرق العربي ان قد قام فيه رجال عظام اتوا بجلال الاعمال
وامتازوا بشرائف الخصال فاشار التاريخ الى بعضهم واغفل ذكر الآخرين. ومن استحق ان
يذكر بالحمد على المدى نظام الملك احد وزراء الدولة السلجوقية التركية المتوفى سنة ٤٨٥ هـ
(١٠٩٢ مسيحية) وهو من افراد رجال الشرق يندر ان ينتج لدولة مثله في قرن او قرنين.
ويؤخذ مما قاله العباد الكاتب الاصفهاني في تاريخ دولة آل سلجوق ان علامة نظام الملك كانت
”الحمد لله على نعمه“ وانه كان مؤيداً موفقاً والدهاء ساكنة في ايامه واهل الدين والعلم
والفضائل راتعون في انعامه. قال وفي ايامه نشأ للناس اولاد نجباء وتوفر على تهذيب الابناء

الآباء ليحضروهم في مجلسه ويحفظوا بتقريبه فانه كان يرشح كل احد لمنصب يصلح له بقدر ما يرى فيه من الرشد والفضل ومن وجد في بلدة قد تميز وتبحر في العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفاً وجعل فيها دار كتب

وظهر من تدبيره في سياسة الممالك ما قاله سليمان بن عبد الملك عجبت لهؤلاء الاعاجم ملكوا الف سنة فلم يمتحنوا اليها ساعة وملكنا مائة سنة لم نستغن عنهم ساعة . قال العماد وفي عصره نشأ طبقات الكتّاب الجياد وفرعوا المناصب وولوا المراتب ولم يزل بابه مجمع الفضلاء وملجأ العلماء وكان نافذاً بصيراً ينقب عن احوال كل منهم ويسأل عن تصرفاته وخبرته ومعرفته فمن تفرس فيه صلاحية الولاية ولاده ومن رأى الانتفاع بعلمه اغناه ورتب له ما يكفيه من جدواه حتى ينقطع الى افادة العلم ونشره وربما سيره الى اقليم خال من العلم ليحلي به عاطله ويحيي به حقه ويميت باطله

تولى الوزارة والملك قد اخل نظامه والدين قد تبدلت احكامه في اواخر دولة الديلم واوائل دولة الترك وقد خربت الممالك بين اقبال هذه وإدبار تلك. واقتربت البلاد واقتوت واستولت الايدي العادية عليها فاعاد الملك الى النظام والدين الى القوام وعمر الولايات ووالى العمارات. وكانت العادة جارية بحماية الاموال من البلاد وصرفها الى الاجناد ولم يكن لاحد من قبل إقطاع فرأى نظام الملك ان الاموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ففرقها على الاجناد إقطاعاً فتوفرت دواعيهم على عمارتها وعادت في اقصر مدة الى احسن حالة . وكان للسلطان نسباً يدلون بنسبه ويدلون بسببه ويستطيون بانهم ذوو قرابته فقصر ايديهم وساس جمهورهم بتدبيره وربما قرر لواحد من الجند الف دينار في السنة فوجه نصبه على بلد من الروم ونصبه على وجه في افصى خراسان وصاحب القرار راض وتوقيعه مأمون التعويق فقسم الملك الذي حازه السيف بقلبه احسن تقسيم . وكان ينظر في الاوقاف والمصالح ويرتب عليها الامناء ويشدد في امرها ويخوف من وزرها ويرغب في اجرها ويكفلها الى الأمانة ولا يدعها مأكلة للخنوة

ووظف على ملوك الاطراف وعلى اقاليم الممالك والامصار حمولاً لخزانة السلطان يحملونها وخدماء عن عصمة ولايتهم يوصلونها وقرر موالاة الخدمات للخدمة والوصول بالعساكر الجملة حتى ملأ الخزائن بالذخائر والملا بالعساكر . ونشأ له اولاد كبروا في دولته فاعلى رتبهم . ثم انه لما وفر الاموال على الخزانة والعسكر وجعل فيها لارباب العلوم واصحاب الحقوق حقوقاً ورسوماً وصير احسان السلطان بين اهل العلم ميراثاً يأخذونه بقدر الفرائض ويأمنون به من النوائب والعوارض فلا جرم تذلت له المصاعب وتيسرت له المطالب

هذا هو الرجل الشرقي العظيم وامثاله قلائل في كل دولة وملة . ومن الاسف ان اهل
المشرق نسوه مع من نسوا من عظمائهم

*
*
*

اختلفت الروايات في اول مدرسة عرفت في الاسلام فرد قوم تاريخها الى زمن الامويين
وانكر فريق ذلك وقال انها لم تعهد الا بعدهم بزمان طويل . وما اظن ما قاله كثيرون مثل
اغست لوبون في كتابه حضارة العرب من ان العرب لما دخلوا دمشق كثرت المدارس في كل
مكان فارنقى العرب من التلمذة الى المشيخة وزهت العلوم كل الزهو ما اظن ذلك الا قولاً
مبالغاً فيه وكلاماً التي على عواهنه لان العرب كانوا في القرن الاول ونصف الثاني بصدد الفتح
ولم تكن الحضارة الرومية والفارسية انتقلت اليهم وتسلسلت فيهم او صفا جو سياستهم ليتفرغوا
للعلم واعمال العمران

فالمدارس في الاسلام لم تعهد اذاً الا في القرن الثالث كما يستفاد من قول المؤرخين
الثقات . قال وستيفيلد الالماني في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية انه كان في كل الجوامع
مدارس ابتدائية في الصدر الاول تعلم مبادئ القراءة والكتابة والقرآن والنحو ثم شيد الخلفاء
مدارس في بغداد والبصرة وبخارى ودمشق وسمرقند حتى صير بعضهم المدارس مجامع علماء .
وقال بروكلن الالماني في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ان كسرى انوشروان أسس في
جنديسابور سنة ٢٥٠ م مدرسة للحكمة والطب بقيت الى اوائل زمن العباسيين وان المأمون
أسس بيت الحكمة في بغداد لتعليم علم اليونان

ويظهر من هذا ان مدرسة الازهر أسست بعد ما أسسه المأمون اي في وائل القرن الرابع
كما ان الحاكم بامر الله أسس دار العلوم في مصر وان المدارس الخاصة بتعليم الطبيعة والطب
كانت غير المدارس المعدة لتعليم العلوم اللسانية والدينية

كان نظام الملك اول مؤسس للمدارس على النحو المعروف لتعليم العلم خاصة وهو الذي
قرر المعالم للطلبة والمشاهرات للاساتذة وله من الآثار الكثيرة في العراق وخراسان ما حسن
ذكره وأثره . والمدرسة النظامية التي أسسها في بغداد واسطة عقد حسناته ودره تاج فخاره
أسسها كلية عظيمة نقرأ فيها علوم الدين والدنيا ووسد امر تدريسها الى اعظم العلماء في عصره
مثل ابي القاسم الدبوسي وابي عبدالله الطبري وابي محمد الشيرازي وابي حامد الغزالي وضياء
الدين السهروردي وابي القاسم القشيري وابي منصور الوزان وابي اسحق الشيرازي ومئات غيرهم
من خدموا الاسلام بعلمهم وعملهم

والظاهر ان عمر المدرسة النظامية لم يطل كثيراً شأن الاختيار في الاعمار فقد طرأ عليها الحريق مرات الاً انها أُعيدت الى حالتها السابقة . سألت الاستاذ الفاضل الزهاوي من علماء بغداد عما آل اليه امر هذه المدرسة اليوم فكتب اليّ يقول : كانت النظامية واقعة في وسط الجانب الشرقي من دجلة وهي اليوم معدومة لم يبقَ منها عين ولا أثر الاً قاعدة المنارة وهي مزينٌ لبنت احد اليهود واما ارضها فقسم كبير من محلات اليهود يحتوي على شوارع وبيوت كثيرة لهم . وكان اول خرابها منذ نحو اربعائة سنة وعدد غرفها التي كانت معدة للطلاب والمعلمين لكل قسم من اقسام العلوم ثلثائة وخمس وستون غرفة بعدد ايام السنة هذا عدا قاعات التدريس ومحافل المطارحات العلمية ومحلات الطبخ واما كنف الراحة ومنتزهها الواسع البديع ومصلاها الكبير وهي شقيقة المدرسة المستنصرية في بغداد التي حولت منذ عهد غير بعيد الى جمرِك والمنسوبة للمستنصر بالله وهي في الرصافة على ضفة دجلة ولم تزل الى يومنا هذا رفيعة البنيان مشيدة الاركان

هذا ما لفتته من احوال النظامية اعظم كليات المسلمين وعسى ان يوفق بعض كتابنا للوقوف على تفصيل اوفى بالغرض مثل نظام الدروس فيها واحوالها وغير ذلك . وربما يعجب المتأمل مما جرى للعاديات والآثار في الشرق وكيف انها لم تقوَ على صروف الدهر في حين ان الغرب على هجمية ابناءه في القرون الوسطى لم يبرح مخنفظاً بجميع آثاره وهذه بولونيا فان فيها اقدم كلية باوربا قائمة على امتن الدعائم . ولا علة لذلك فيما احسب الاً ان معظم حكام الشرق جهلة لا يريدون ان يشاهدوا آثار اسلافهم ويشق عليهم الاً ان يستأثروا دونهم بالصيت البعيد فكما ولي احدهم لا يأتي من العمل أكثر من طمس اسم سلفه ليحل تحله اسمه ولو قدر الملوك السالئون ان يهدموا الاهرام وغيرها من الآثار الباقية على الادهار لما قصرُوا ساعة وعلى العكس في الغرب فان المتأخر يصلح ما بدأ به المتقدم وهكذا حتى يستقيم الحال فسبحان من كتب على الشرق ان يُمْنى بآثاره ورجاله وعلى الغرب ان يحيا بهما

* *

وبعد تسطير ما تقدم ورد اليّ ما تفضل وكتبه الاستاذ الناضل المحقق محمود شكري افندي الآلوسي البغدادي قال فيه :

النظامية اقدم مدرسة في مدينة دار السلام واول بيت وضع للعلم في بلاد الاسلام كانت في جانب الرصافة وهو الجانب الشرقي من بغداد بناها ابو علي الحسن بن علي بن اسحق ابن عباس الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي وكان ابتداء تأسيسها على ما ذكره ابو

الحسن محمد بن هلال الصافي في تاريخه في ذي الحجة سنة سبع وخمسين واربعمائة والانتباه من عمارتها سنة تسع وخمسين واربعمائة وفتحت يوم السبت عاشر ذي القعدة من تلك السنة . كان هذا الوزير من ابناء الفلاحين واشتغل بالحديث والفقه وسائر العلوم ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان المعتمد عليه في مدينة بلخ وكان يكتب له فكان يصادره في كل سنة فهرب منه وقصد داود بن ميكائيل السلجوقي والد السلطان الب ارسلان ملك ما وراء النهر وخراسان وكثير من الانحاء فظهر له منه الذم والحجة فسلّمه الى ولده الب ارسلان وقال له اتخذه والدًا ولا تحالنه في ما يشير به فلما ملك الب ارسلان وازدحم اولاده على الملك وطد المملكة لولده ملك شاه فصار الامر كله لنظام الملك وليس للسلطان الاّ تحت واليد واقام على ذلك عشرين سنة . بنى المجالس والربط والمساجد وبنى المدرسة النظامية في نيسابور والمدرسة النظامية في هراة وهو اول مرة انشأ المدارس فاقبدي به الناس والمدرسة النظامية التي انشأها في بغداد من اعظم آثاره ومبراته

كانت النظامية في بغداد منقطعة القرنين كأنها روضة من رياض الجنة قصدها افاضل اهل العصر وفقهاؤهم والمجتهدون منهم والمقلدون والادباء وسائر اهل العلم والفضل على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم حتى كان من يدخلها يسمع دويًا كدوي النحل ويرى عددًا وافرًا من الطلاب وقد خص كل منهم من ذوي الحاجات ومن تردد اليها لاقامة دروس العلم على اختلاف فنونه وظائف وجرايات تكفيهم امر طعامهم ولباسهم وضروريات معاشهم

ثم افاض الاستاذ المشار اليه في وصف المدرسة وتعداد بعض من درسوا فيها مع تراجعهم وما قيل في رثاء المدرسة مما تضيق عنه هذه الجملة وتخرجنا عن الموضوع قال في وصفها انها كانت مستطيلة البناء واسعة الفناء فيها محل معد للدروس ومصلّى فسيح وحجر كثيرة للطلاب ومواقع تخص رؤساء العلم والمدرسين واخرى لادخار الذخائر . كانت ذات طبقتين من البناء مرفوعة الجدران عقدت في اطرافها اروقة وطاقت مستديرة الشكل تنتهي الى ذلك البنيان المشيد وقد فرشت ساحتها بالمرمر الذي كان اشد ملاسة من راحة الفتاة وصفحة المرأة وقد قطع ذلك الحجر على الشكل المربع لزيادة احكام بعضه ببعض وكانت فيها خزانة كتب اشتملت على تصانيف الائمة الماضين وعلوم الاولين والآخرين جمعت من الافاق بطائل الاموال واذن لاهل العلم في ان يتناولوها متى شاءوا

ولا يظن من سمع بما كانت عليه بغداد ايام الدولة العباسية ان وصفًا من اوصافها او اثرًا من آثارها قد بقي الى هذه الايام بل لم يبق منها الا بعض الاسماء والاعلام

درست الا بقايا اسطر سمح الدهر بها ثم محاجها
وكذلك النظامية لم ندرك نحن ولا آباؤنا حجراً من احجارها ومن رأى محاجها اليوم اخذته
الخيرة وذهب به العجب كل مذهب . . . انتهى محمد كرد علي
[المقتطف] اطلعنا على الرثاء الذي اشار اليه حضرة الكاتب وهو لاحد ادباء بغداد
وفضلائها ومما قاله فيه

قوَّض الدهر بالخراب عمادي ورميني يداه بالانكاد
كم انادي وليس لي من نجيب واخراباه جهرة كم اادي
طالما رفرفت من العلم رايانا ت نخار مني على بغداد
طالما طاوالت ذرى القمم الشمم حصوفي بفضلها الاستجاد
كنت في العلم روضة باكرت از هارها الغر بالعهاد الغوادي
كم رنت بي مناظر العلم حتى كنت منها بها مكان السواد
والغزالي سائلن وابا اسحق م عما حويت من ارشاد
قدرموني صواعق الدهر فاهتد م بنائي وصرت بعض الوهاد
والمرثاة طويلة مفجعة ولكن ما نفع الرثاء وما جدوى البكاء وليس في الزوراء رجال تنهض
بهم همهم الى مناصبة الافساد ومجازبة الاصلاح

توما ريت واسعاد الجرمين

سبقت منا الإشارة في مقالة (اصلاح السجون) الى عزمنا على الحاقها بنتمتها (اسعاد
الجرمين) . وقد انصرف الهمم منذ ذلك الحين الى مسائل اخرى لم تكن في البال حتى وقع
الينا لا يام قليلة كلام من احد الالباء الاكارم في حديث عن منافع التاريخ قال فيه " ان
اشد ما ارى بلادنا في حاجة اليه اليوم من ابواب التاريخ هو تراجم مشاهير الارض الذين
قاموا في مختلف البلدان فرفعوا منار الانسانية في كشف حقيقة او اصلاح حال " فانفض
هذا القول هممتنا ونهينا الى انجاز ما وعدنا به في تلك المقالة آسفين على الابهال وقلنا هو خير
على كل حال من الاهمال — :

مهما يكن من امر النجاح في اصلاح حال سكان السجون وهم وراء تلك الاسوار فلا
يزالون في حاجة الى ذرائع توصلهم بما انقطع من ثقة الناس بهم بعد قضاء ايام العقاب .

نعم ينطلق السجين وينطلق معه الامل محنداً في النشاط متشوقاً الى العمل ولكنه متى شاهد
الوجوه منقبضة منه معرضة عنه والبوليس واقف له بالمرصاد يحذر القوم من امره وينذرهم
بشره وفأحر بتلك الحال ان تعيده الى مواقف اليأس

كان في مقدمة الذين نهتهم الاقدار الى هذا البؤس الشديد ووظنوا النفس على دفعه
وتلافيه توماريت رجل قام في اوائل القرن المنصرم من صنّاع مانستر المساكين واندفع في
ذلك المسعى الجليل اندفاعاً يعز فيه المثل كما سترى

لم يكن هذا الرجل من ذوي الخطط والمراتب ولا من اهل الوجاهة في هيئة الاجتماع
او من ارباب الثروة فتباعه المرام انما كانت سعته في قلب يسع بلايا السجين المسكين وصدر
رحب بكل ذليل . وما نشأ من عشاق الصحف والاسفار ولا ألف معاهد العلم او وقف في
مشاهد العرفان مما يدلك على ان مجرد حشو الدماغ بقضايا معدودة من العلوم لا تكفل للدارس
ترقي نفسه مراقي الكمالات الانسانية انما رضع من امه لبان الصلاح والاحسان غذيت به نفسه
فبلغت طورها من القوة والنماء

الا انه بعد وفاة والدته الصالحة ترك صبياً وحيداً فأتى الى ايدي الزمان العوبة تصرفه
حدثانه كالكرة امام الصولجان حتى ذاق منها الحلو والمر . ولما لقي من عثراته الصنّاع ما
ما يعهد فيهم من احوال السفالة والشر لم تعد نفسه تطيق تلك الموبات فتنبه ما كن فيها من
بذار تلك التريبة الصالحة القديمة حتى هاجت في صدره هوائج النخوة وشرف الذات فتنبك
عن مسالك اولئك الرفاق وعدل الى لقاء اهل الادب والصلاح

ولما بلغ اشدّه دخل صانعاً في احد مسابك مانستر باجرة خمسة شلينات في الاسبوع
ولما كان من شبان الثبات والنزاهة والاقدام اُبت نفسه الا الجدم ومصارعة الايام حتى اصبح في
ذلك المسبك المقدم المعول عليه

واول غرض مالت نفسه النبيلة اليه اسعاد اهل الجرائم والذنوب ومعاونتهم على وجود
العمل الشريف وذلك من ابعد المطامع منالاً واقربها الى المستحيل واشد ما يحمل النفس على
اليأس والقنوط . فان المجرم حين انتهاء مدة سجنه لا يتأتى له العود الى محله السابق الا في
النادر وذلك لما قام في نفوس مستخدميه من اعتقاد رسوخ الشر فيه فضلاً عما زاده السجن
من رذائله ولكن الحازم الهام لا يزيده بعد المطلب الا اقداًما بدل الاحجام

وكانت فاتحة اعماله الخيرية في اسعاد المجرمين ان أتى المسبك ذات يوم رجل كان قد
أخذ ببعض الجرائم ولما سئل ريت عنه لم يكن يعلم من امره شيئاً الا انه في خلال ساعات

العمل استطاع طلع حاله فتحقق الشبهة فيه . غير ان الرجل ابدى في حكاية حاله اصدق
علام الندامة والاسف ووعد بدموع الحزن الّا يعود الى سابق شره وان يحوما لطخ به من
آثار الخزي والمعار . فنقل ريت الواقع الى ارباب المسبك ووضع عشرين جنياً ضماناً على
دوام استقامته في الاستقبال فقرروا تثبيتاً في العمل

غير انه لما عد العمال غداة ذلك اليوم لم يكن ذلك الشقي المسكين بينهم وذلك لانه لم
يكن قد بلغه قرار ارجاعه الى العمل فأرسل الى مبيته رسول فلم يجده اذ كان قد حزم امتهته
وراح بهم على وجهه في عرض الارض . وبعد ان علم ريت بوجهه انطلق يعدو
وراءه فادركه على امد عدة اميال من مانسستر وشاهده جالساً على قارعة الطريق منكسر
القلب كئيب النفس كاسف البال منقطع الامل من دنياه فرفعه يمينه وبشره بقرار
ارجاعه الى عمله فانتعشت قواه وعاش رجاءه فعادة معاً ودخلا الى العمل وقد برهنت الايام
على صدق وعده وخلوص توبته وندامته

فهذه الحادثة قوت آمال ريت وشددت عزائمه في مسعاه الكريم وايدت له ما تنفع المؤاساة
والانعطاف في انتشال امثال هذا المجرم من اعماق التعاسة والذل الى ساحة العمل وبجوحة
الامل . وكان يقول ان من الخطأ الفاج قطع الامل من ارتداد هؤلاء البائسين التعساء .
وان الاخلق بكل من يدعي الصلاح ان يمد اليهم يمين المعونة والاسعاد ويأخذهم باسباب
الشفقة والحنان حتى يعودوا الى ميدان النشاط والراحة والاطمئنان . وما زالت هذه المسائل
تحوم على خاطره وتجول في صدره حتى صارت غرض حياته الاقصى

وكان ساكناً في جوار احد السجنون فكان يطلب اولاً الدخول الى المجرمين فلم يكن ينال
الّا الصّد والرد . وبعد ان لبث على ذلك زمناً غير يسير بلغه اتفاقاً ان والد احد زملائه في
المسبك بواب في السجن فتوسط له في ادراك مبتغاه وأذن له في ملازمة الحضور الى احدى
الحفلات الدينية ايام الاحاد . على انه لم يكن يؤذن له الى تلك الساعة في ان يتفرد باحد
المساجين ولكنه صبر على مضي الانتظار صبر الكرام

وبينما كان عائداً من السجن يوماً من ايام الاحاد استوقفه الخادم الديني مدير ذلك الاجتماع
وطلب منه عملاً لاحد السجناء الذين انتهت مدة عقابهم وهم في مزيد الرغبة في العمل . فاجابه
ريت بالايجاب ووعدّه ببذل الجهود في ما سأل ونال عملاً لذلك البائس الدليل

فاباح له الحاكم حينئذ الدخول الى السجن ومحادثة ايّ شاء من المجرمين فاخذ ريت
ببذل لهم النصيح والارشاد ويرسل اهاليهم في منازلهم مبدياً أدلة الصداقة والاحسان . وكان

يترقب المتهمين يوم انطلاقهم ويتعمد ملاقاتهم ويعود بهم الى منازلهم ويردّهم الى عيالهم ويحسن اليهم بما استطاع من اجرتهم اليومية ثم يسعى جده في ان يقودهم الى ابواب العمل وسبل الرزق الحلال

ولم تكن مساعيه تخيب في غالب الامر لانه اكتسب ثقة اصحاب الاعمال بامانه وصدقه وحكمته فكانوا يلبّون طلبه باستخدام من يشاء من المجرمين المرتدين حتى انه كان يبذل الضمانات المالية المجموعة من اجور الاسبوعية حين الاقتضاء

ولبت بضعة اعوام على هذا المسعى وهو لا يفارق مسبكه عاملاً مجتهداً بما استطاع من الهدوء وتواضع النفس يتحاشى الاشتهار والافتخار حتى وجد اعمالاً لمئات من اولئك المجرمين البائسين حتى اصدقاؤه عنه ان احد المجرمين بعد ان قضى مدة عقابه في الاشغال الشاقة اطلق سراحه واصحبه احد القسوس برفق توصية واعيد الى مانستر فلم يصب اولاً له عملاً سوى الكناسة في الطريق ولكن ريثم سعى فراه الى عمل مصلح في الطريق وبعد ان ابدى من حسن المسلك ما ابدى ادخله بعض مدارس الليل وغيرها فظهر من مناقب المروءة والرغبة في التعلم والتجصيل ما اهله الى رتبة معلم حتى نال لدى رئيس المدرسة احسن الخظوى والالتفات وما زال يرقى بالجد والاقدام حتى سيم قسيساً

وبعد ان اقام ريت على مثل هذه المفاز والمآثر الكريمة اعواماً مالت اليه ابصار ذوي المكانات العليا من الحكام ودار ذكره في المجالس والتقارير الرسمية ومما جاء عنه لاحدهم في تقرير سنوي عن (حال المجرمين) قوله " . . . ولكي اظهر الحمد الذي بلغه احسان هذا الرجل الصالح المسكين والنجاح التي تكلمت به مساعيه اقرر انه لم ينقص متوسط من اصلهم من المجرمين بفضل واحسانه عن ستة وتسعين في المئة ومما يثير الخاطر بهجة وجوراً ان نرى تلك الثقة التي فاز بها هذا الانسان من قبل المجرمين الاشقياء ولم تكن الا جزاء اسلوبه الصالح الساذج الابوي العاري عن كل ما يشوبه من شوائب العجب والمن والافتخار "

ولم تقصر مساعيه على وجود الاعمال لاولئك الاذلاء المساكين بل انه كان يقرض من لم يصب عملاً ما نالت يده من المال او يسعى في اكتساب سري بين بعض اصدقائه مساعدة لبعضهم على النزوح وطلب الارزاق فبلغ عدد من انجدهم في هذا السبيل نحو الالف حتى ان بعض هؤلاء المجرمين كانوا يبذلون له المساعدة في اعمال الخيرية إما بتهيئة اعمال لآخوانهم او باكتساب مالي على ما اسلفنا ذكره . وقد كان يرد له من بعض اولئك المجرمين النازحين مساعدات مضمونة برسائل الشكر والحب من ذلك رسالة وجيزة وردته من احدهم يقول

فيها ان ما احرزته من مطالب النجاح لم يكن اساسه الا حبك الوالدي وعونك الذي لن تحي آثاره ولن ينسى تذكاره . الى آخر ما هناك من عبارات الشكر والوداد

والذي يقضي علي القاريء بالعجب العجيب من امر هذا المحسن العظيم انه لم يكن ينقطع عن عمله اليومي مع كل هذه الاعمال العظيمة الشاغلة فكان ينهض الى مسبكه الساعة ٥ صباحاً ولا يفارقه قبل الساعة ٦ ليلاً حتى لم يكن يبقى له لاجل القيام بتلك الاعمال الخيرية سوى ما بقي من ساعات مساءه وايام العطلة والاّ حاد فكان يشاهد في السجن والملاجئ يعزي المسجونين ويؤاسي المجرمين وبقي على عمله هذا المبرور الى الثالثة والستين من العمر حين مالت شمس حياته الى المغيب وهو لم يذخر شيئاً من المال وما زاد عن قوته اليومي كان ينقعه في وجوه الخير على ما مرّ في سياق الكلام حتى كان في كثير من الايام يلمّ به العوز والضيق اذ كان من مبداء ان لا يذخر فلساً الى غده امسكاً عن معوز في يومه

ومن غرائب حاله انه لما علمت الحكومة الانكليزية قيمة خدمه هذه وفضله على البلاد عرضت عليه رتبة مفتش على السجون براتب ٨٠٠ جنيه سنوياً فرفض المنصب والتقدمة جميعاً قائلاً " اذا صرتُ مأموراً للحكومة اخشى ان تقعد بي المهمة عن تلك المهمة فلا اعود مساعد المجرمين و خليل الباسين "

على ان اهل مانشستر حين رأوا منه هذه الشهامة النادرة المثال نهضت بهم عواطف الشكر وعينوا له سنوياً ١٨٢ جنياً جمعوها بالاشتراك ولم يكن المبلغ الاّ عشر العشر مما اقتصدته بمساعيه خزينه البلاد . وكان ممن عرف له قدر هذا الجليل والصنع الجميل احد المصورين فاهدى اليه رسماً كتب عليه (السامري الصالح) وقد نصب هذا الرسم في منتدى مانشستر العام على ان ريت لم يقف عند هذا الحد بل ازداد همة واقداماً فاخذ يطوف البلاد نظير هوارد يزور السجون ويتفقد الملاجئ ومدارس الفقراء الصناعية وسائر الامكنة المتعلقة بمقاصد الخيرية . وكان من اجل رغبته ان يهذب اولاد المساكين ويربيهم على العمل الشريف فيرد عنهم آفات البطالة وما تجرّه من البلايا والويلات فيقلل بذلك عدد المجرمين . فقامت بمساعيه مدارس الفقراء ولم يأل جهداً حتى جعل التعليم فيها الزامياً يقين ان هذا الالتزام من افعل الذرائع في تخفيف الجرائم وتقليل الفقر

وما عدا هذه المدارس فقد انشأ مدارس صناعية وبنوكاً لاقتصاد المجرمين ومعامل خيرية لتشغيلهم . وعلى الجملة فحيثما رأت عينه وجهاً للخير سعت قدمه نحوه ومدّت اليه يده . ولم تقتر همة حتى بلغ الخامسة والثمانين فبلغ الضعف منه غاية الحد وقضى في الرابع عشر من ابريل

(نيسان) سنة ١٨٧٥

هذا ولا نعلم ما يقول اهل الانانية في مثل هذا البطل الغيري الكريم والمحسن الخيري العظيم ولا تدري اي ناموس خرق في شرعهم غير ناموس (الانانية) هادم العمران وعار الانسانية فلم يبق الا ان يقولوا لعله اناني ايضا رام سد عاطفة طمعا ببدح الضمير . قلنا ان كان لمثل هذه الانانية هذا الاثر في النزع العام فهي خير من انانية محصورة في الذات وليس لها من أثر غير امانة العواطف والانسانية وتوبيخ الضمير
متري قندلفت

اشارات الخطابة

قال شيشرون الخطيب الاشارات لغة الجسم وبدونها ينقد الخطيب المصقع قوته ويبارى بين هو اضعف منه ولكن كما ان بعض النساء العاطلات (الخاليات من الزينة) يظهرن ابرع جمالا منهن مزيّنات كذلك بعض الخطباء يُعجب بهم ولو لم يُتبعوا كلامهم بشيء من الاشارات وقد وجدت الاشارات قبلما وجدت الالفاظ واللغة ودليلا على ذلك ان الاطفال يدلون على مقاصدهم بها قبل معرفتهم اسماء الاشياء . قال احد معلمي الخطابة المشاهير اذا شئت ان تحسن تعلم الاشارات الخطابية فلاحظ حركات الشيوخ وصغار الاولاد في احاديثهم وثقلدها في خطبك . وكان المصريون يرمزون الى كلمة لغة في كتاباتهم الهيروغليفية بصورة يد موضوعة تحت لسان وربما قصدوا بذلك وجوب مراقبة الكلام بالاشارات
وقفة الخطيب . لتكن المسافة بين رجلين عشرة سنتمترات وليكن وضعهما بحيث انك اذا اشرت الرجل المتقدمة على الخط الذي هي ممتدة فيه يلتقي الكعبان ويكونان زاوية انفراجها ٤٥ درجة ليكن معظم ثقل الجسم على القدم المتقدمة كلها اي على كعبيها واصابعها معا
وجه نظرك الى الحاضرين امامك ولا تجمّد رأسك او كتفيك او جذعك لئلا تظهر متكبرا او متصنعا فالناس لا يحبّ سماع من هو معتد بنفسه مترفع عنهم
بعد ما نقف في مكانك مرّا بنظرك على الحضور ثم وجهه الى ابعد فريق منهم واستعد للانحناء اذا كان له داع

الانحناء . جرت العادة في المجتمعات العلمية والادبية ان يحني المتكلم رأسه امام الحضور قبل الشروع في الخطابة واذا كان في المجتمع شخص ممتاز له علاقة شديدة بتلك الحفلة كحاكم او رئيس مدرسة فعلى الخطيب ان يحني مرتين مرة له ومرة لبقية الحضور وان يراعي الامور الآتية

لا تتحن بسرعة ولتكن عيناك متجهتين الى الحضور لا الى الارض
لا تهز يديك ولا ترخهما ولا تتحن عنقك فقط او جذعك بل ليشارك رأسك وعنقك
وجذعك في هذه الاشارة وبرز كتفيك قليلاً
حركات الرأس . عند اظهار الخجل والحزن والتذلل والتواضع اخفض رأسك . وفي
الكبر والخيلاء ارفعه وأمله قليلاً الى احد الجانبين
الايجاب والمصادقة يدل عليهما يشارتهما المعبودة اي باحناء الرأس الى الامام
الرفض والانكار يدل عليهما برفع الرأس الى خلف
التعب والتوقف وعدم الجراءة يدل عليهما بإمالة الرأس الى احد الجانبين
في التأمل والملاحظة يميل الرأس الى الامام
عند الاستماع والانتباه تحول الاذن الى الامام وتوضع اليد خلفها
حركات العينين . تستطيع العينان اجمل الاشارات واقواها والخطيب الذي لا يستخدم
عينيه في الخطابة لا يستطيع ان يثبت تلك المغناطيسية التي تصدر عن المتكلم البارع وتؤثر
في قلوب الحاضرين
العينان تبكيان في مواقف الحزن وترتعدان في الابتهاال وتبرقان وتلعان عند الغضب
وتحولان عن الشيء المستهزأ به
في اظهار التوجع والحزن والعار تنظر العينان الى الارض او تحولان الى جانب او
تستران باليد
في الشك والخوف توجهان الى جهات مختلفة
في التمعن والافتكار والتبصر تنظران الى الفضاء
اشارات اليد والذراع . في اليد والساعد والذراع اثنان وثلاثون عظمًا تحركها ست
واربعون عضلة . وعلم التشريح والفسولوجيا يعلماننا ان الانسان يستطيع اتيان الاشارات الجميلة
بسهولة ولذلك فاذا اردت ان تكون خطيباً متقناً للاشارات فلا تكن متصنعاً او متكلفاً
على الخطيب ان يستعد للاشارة قبل ابدائها بوضع ثوابه وذلك بتحريك اليد من
مكانها الطبيعي على هيئة قوس وكما كان الفكر عظيماً وخطيراً وجب ان تكون القوس واسعة
كبيرة . وهذه الاشارات تصير طبيعية بالممارسة
يشير الخطيب باصبعه عند ارادة العد او تحليل المسائل او انتخاب الاشياء وعليه فالاشارة
تكون الى ما يراه ويعرفه لا الى ما يريده او يشعر به

يشار ايضاً بالاصبع حينما يراد توجيه الانتباه الى الاشخاص والاشياء الموصوفة والبراهين
المسرودة

يشار بالكف مطبقة في موقف الحجر والمنع والاغصاب او حينما يقصد الخطيب حث
السامعين او اكرامهم على اتمام بعض الامور
وضع الكف في الكف على شكل صليب يدل على ان الامر المراد تقريره او البحث فيه
سهل البرهان وبسيط على العقل

في الالم والتأسف توضع اليد على الراس او يضغط بها
في الحزن العظيم والالم الشديد تشبك الاصابع وتترك الكفان
في اظهار المحبة او عرضها توضع اليد على القلب
في التحب والتودد والتشوق تمد الذراعان وتبسط الكفان كأنه يراد استقبال الصديق
او الحبيب

يدل على القبلية بوضع اليد على الشفتين و طرحها الى الامام
تحرك اليد وتماوج حين الفرح وتأتي باشارات وحركات غير قياسية في النفور والاشمئزاز
والكرهه

الاشارات المستعملة دلالة على عواطف النفس وانفعالاتها الشديدة كالغضب والخوف
والتأسف والتحرق تسرع اليد في رسمها وهي تكون على هيئة زوايا وخطوط مستقيمة لا على هيئة
اقواس وخطوط منحنية . وبعد نتميم الحركة المقصودة تبقى اليد برهة وجيزة على وضعها ثم تعاد
الى مكانها الطبيعي بلا تصنع فلا تلامس الثياب على الصدر ولا على الفخذ

وليس من الضرورة ان يبدأ بكل حركة او اشارة واليد على هذا الوضع لانه متى كان
الكلام شديداً مؤثراً وجب على الخطيب ان يبدي الاشارات المركبة اي ان ينتقل من
اشارة الى اخرى حالاً وان يستعمل كلاً يديه في مثل هذه الاحوال وليحذر ابداء الاشارات
كلها بيده واحدة بل ليجعل يديه تتناوبان الاشارة اذا لم يكن ثمة داع لاستعمالهما كليهما

حركات الجذع والجسم . يدل على العزيمة والشجاعة بانتصاب الجسم وعلى الكبر والخيلاء
بميل الجذع والرأس الى الوراء وعلى الاتضاع والاحترام والاكرام بميله الى الامام كثيراً او قليلاً
حركات الرجلين . يدل على الجراءة والعناد بتثبيت القدمين وانتصاب الساقين . وعلى
الرغبة والشجاعة بامالة الرجلين قليلاً الى الامام . وليكن مركز ثقل الجسم في هذه الحال
ما بين القدمين

في الخوف والاشمئزاز تؤخر الرجلان متعثرة الواحدة بالآخرى
في الرعب الشديد نتهيان للهرب والركض
في الامر الشديد والالزام والاكره تضرب الارض بالقدم شديداً

ملاحظات عمومية

(١) على الخطيب ان يغير وقفته في أثناء الكلام كلما تغير المعنى او ابتداءً بموضوع جديد وذلك بأن يؤخر الرجل المتقدمة او يقدم الرجل المتأخرة ولا يجوز نظره عن السامعين .
واذا كان في الموضوع تغيير ظاهر وجب ان يسكت بضع ثوانٍ بعد تغيير مركزه ثم يستأنف الكلام

(٢) عليه ان لا يأتي بأشارة او حركة في كلامه ان لم يكن هناك داعٍ يدعو اليها كتأكيد كلمة او عبارة او اشارة وغير ذلك مما ورد ذكره ولا يظن ان كثرة الحركات والاشارات تزيد الكلام تأثيراً بل بالعكس

(٣) ان المتكلم الذي لا يستطيع تحريك سامعيه واجتذاب اصغائهم وانتباههم اليه بتكييف صوته لا يعد خطيباً . ولذلك يحسن بالمبتدئ ان يترن على القاء خطبه بلا اشارات بعض الاحيان باذلاً جهده في تكييف صوته على حسب ما يقتضيه المعنى
وكما ان الانسان لا يستطيع تعلم الموسيقى والغناء والرقص بمجرد حفظ القوانين والقواعد كذلك لا يصير خطيباً الا بطول الممارسة والتمرن

هذه بعض الاشارات والقواعد التي اصطلح عليها مشاهير الخطباء . وقد اخذتها من احسن ما كتب وعلم في هذا الفن فعلى الراغبين في الخطابة الميالين اليها ان يتبعوها فهي تسهل لهم الابتداء وتكفل حسن الانتهاء

بيروت . المدرسة الكلية

اسكندر عجمي

[المقتطف] نشرنا في الجزء الخامس من السنة الثامنة الصادر في فبراير سنة ١٨٨٤ خلاصة خطبة في الخطابة لحضرة انطون افندي شحير يحسن بالقراء الكرام ان يطالعوها وبالشبان منهم خاصة الذين يودون ان يكون لهم في الخطابة شان ان يكرروا مطالعتها مع مطالعة هذه المقالة والجمع بين فوائد الاثنتين اي بين ما قيل عن مبنى الخطب وما قيل عن اشارات الخطباء

العمل والراحة

قال تنسون الشاعر الانكليزي المشهور "خمسون سنة في اوربا خير من دهر في الصين" وعند الصينيين مثل وهو "يوم واحد مثل ثلاثة ايام" يريدون بذلك انك اذا عرفت كيف تغنم الفرص لاتمام عمل ما فيوم واحد يساوي ثلاثة. وقال السرولتر سكوت في احدى قصائده ما معناه "ساعة من حياة مجيدة تساوي عمراً بلا اسم ولا شهرة"

ويرى الباحث المدقق ان الناس على اختلاف طبقاتهم وعصورهم ومعارفهم اتفقوا على هذه الحقيقة وهي ان الانسان قد يستطيع اتيان الاعمال العظيمة باجهد قواه في اوقات قصيرة وان الدقائق والساعات كالناس متفاوتة في الرتبة والمنزلة

الحيوان — ضرب الناس الامثال منذ القدم يجد بعض انواع الحيوان وكسل الآخر فمن ذلك جد النملة وكسل الضرصور وسعي السلفاة ونوم الارنب وحكايتهما معروفة . ولكن العلم والبحث يثبتان ان الانسان غالى في اتيان بعض الحيوانات بالاكثر من الحركة . فان اجراء الهرّة لا تقضي اكثر وقتها في الحركة كما يظن . وصغار الاولاد لا يقضون اكثر يومهم في اللعب كما هو المشاهد بل يقضي الفريقان جانباً كبيراً من وقتهم في الراحة والسكينة

ثم ان هناك حيوانات ليلية قيل انها لا تنقطع عن العمل ليلاً ولا نهاراً منها حشرة مكرسكوبية قال الدكتور هوج والدكتور ايكسنس انها تعمل على الدوام وليس لها فترة تنقطع فيها عن العمل مثل الحيوانات العليا . وبعبارة اخرى انها لا تكل ولا تنام . لكن هذا الحكم يصدق عليها اذا وافقتها الاحوال وهذا لا يتسنى لها فيرثها دور راحة تنقطع فيه عن العمل انقطاعاً الزامياً ناشئاً عن عدم ملائمة الاحوال الخارجية لها

وكما ارتقينا في سلم الحيوان رأينا تفاوتاً بين الحيوانات في مدد عملها وراحتها فالاسماك وذوات الفقرات الدنيا تنام مدات طويلة ثم تعود الى الحركة والعمل بجهد ونشاط وكذلك الاسد والنمر والفيل والجمال والفرس وسائر انواع الحيوان تنام ثم تستيقظ قوية نشيطة الى العمل . وكما طالت مدة يقظة الحيوان وحركته طالت مدة نومه وراحته

ومن الحيوانات ما يقضي جانباً كبيراً من عمره في سبات عميق تثوقف مدته على الاقليم والنوع . ولا يعلم مقدار ما ينعله هذا السبات بقوى الحيوان العقلية والبدنية حال يقظته وحركته ولكن لما كان السبات عاملاً من العوامل في الانتخاب الطبيعي وبقاء الانسب فذلك دليل على انه لم يكن خالياً من النفع للحيوان . وما يقال عن العجماوات التي تنام طويلاً

يقال عن الانسان الذي يفعل فعلها مثل بعض فلاحي روسيا الذين ينامون اكثر فصل الشتاء اقتصاداً في النفقة

الطفل — من المعلوم ان الطفل مغرم باللعب واجهاد قواه البدنية الى درجة الاعياء وكذلك اجهاد قواه العقلية عند ما يبدأ بالتكلم في محاولة النطق وشدة الاصغاء وثقل حركات من حوله وسكناتهم حتى اذا كلَّ وملَّ ثاب الى السكينة والراحة . وعليه فهو يقضي معظم الوقت قبل دخول المدرسة في اللعب والرياضة ما عدا اوقات الاكل والنوم . فكأنه مسوق الى ذلك بقوة تدفعه الى اجهاد قواه غاية الاجهاد

يستنتج مما تقدم ان المدرسة تضر الطفل بطول مدة الدرس والعمل قبل الظهر وبعده فيجدر بالمدرسين ان يغنموا الفرص القصيرة التي تكون قوى الطفل فيها مثيابة للشغل والعمل ليطلبوا فيها ما يريدون طبعه في ذهنه ولا نظن انه يلزم المعلم اكثر من ساعة لتعليم الطفل وثقيفه في حالة نموه . ولذلك قام كثيرون في جميع انحاء العالم يقولون بوجوب تقليل ساعات الدرس . وذلك عين الصواب ان صح ما يقال من ان دقائق قليلة وقوى الطفل على اشدها انتباهاً او فرناً من بقية نهاره

ومن خصوصيات الاطفال سرعة انتقالهم من الحركة الى السكون ومن الذكاء والنباهة الى الخمول والبلادة ولو في الظاهر ومن العمل الى البطالة عقلياً وبدنياً والصد بالصد . فقد يتفق كثيراً ان المعلم يحاول تعليم الاولاد شيئاً يقولونه في الاحتفالات العمومية وبذل الجهود في ذلك فلا ينجح لما يراه فيهم من الاهمال وعدم الانتباه والخمول في الظاهر حتى يستولي اليأس عليه ولكن اذا جاءت الساعة الموعودة اظهروا من الذكاء والنجابة ما يحيرة ويقضي عليه بالعجب والدهشة

المرأة — جاء في المثل الانكليزي ان المرأة لا تتم عملها . وفي هذا ما فيه من الاجحاف بحقها فقد قال احد العلماء ان الاعمال التي تستوجب ساعداً شديد العضل لاتمامها انما هي منوطة بالرجل واما العناية بالاولاد وسائر ما يتعلق بتدبير المنزل من الاعمال التي يكون اتفاق القوى فيها اطول مدة واقل شدة فنوطة بالمرأة . واما بين المتوحشين فان اعمال المرأة تشبه اعمال الرجل من حيث مشقة العمل وطول زمن الراحة وسرعة الانتقال من حال الى حال

واما سرعة انتقال المرأة من حال الى حال فظاهر من سرعة ادراكها وشدة بدايتها . فاذا عرض للرجل والمرأة امر اشكل عليهما حله او وقعا في حيرة وارتباك فالغالب ان المرأة تجد مناصاً لها منه قبل الرجل . وفي التاريخ حوادث كثيرة تمكنت المرأة فيها من تخليص ذويها ببدايتها وتقنها في استنباط الحيلة

على ان قسمًا كبيرًا من عمل المرأة في البلاد المتقدمة ليلي كالرقص والمسامرة والتمثيل في الملاهي والمراقص ونحو ذلك مما يعد عمل النهار بازائه راحة لا تعبًا ومما فاقت الرجل فيه النابغة — لقد كثرت كلام الناس على النوايا فالتفتوا الى الموهبة العقلية التي يمتازون بها من حيث علاقتها بالاعمال التي عملوها فقالوا ان الموهبة مظهر من مظاهر النشاط وانها ليست الا العمل والاجتهاد او هي مقدرة الانسان على العمل الشاق . وانما جعلهم يعتقدون هذا الاعتقاد ما يرونه من ان النوايا مضطرون الى العمل الشاق ليعيشوا الى العمل الطويل لينالوا الشهرة وتظهر مواهبهم . ولكن النوايا الحقيقيين يتون اعمالهم العظيمة باجتهاد قوام في مدات قصيرة لا بالعمل المستمر ولا بالتعب الطويل

ومن الغريب ان النابغة يمتاز بقابليته للانتقال بسرعة البرق من حال الى حال كأنه يجمع بين الاضداد فينتقل من درجة سيولة القريحة الى جمودها في اقل من لمح البصر ومن الحكمة والذكاء الى الجهل والبلاهة ومن الاجتهاد في اقصى درجاته الى الخمول في ادنى دركاته حتى كتب احدهم كتابًا في بلاهة النوايا . وليست البلاهة في النوايا امرًا طبيعيًا وما من نار الا وتخبو بعد ذكائها . فقد قال بعضهم اذا بطل الالهام للنابغة عاد رجلاً مثل سائر الناس ان لم نقل اقل منهم . واعظم نوايا الشعراء نظموا ارك انواع الشعر

المجرم — قال بعض العلماء ان المجرم كثير الكسل الا انه قد تمر به دقائق ينشط فيها للعمل فيأتي اعظم الجرائم والمنكرات كالسكر والخلاعة والصح . قال احد النشالين لعالم من العلماء اذا عرضت لنا التجربة لا يستطيع احد منا ان يكبح جماح نفسه فلا بد لنا من السرقة . وعند ما يرتكب المجرمون جرائمهم يظهرون اقداً عظيماً وانفعالاً قوياً واحتيالاً غريباً ثم لا يلبثون ان يعودوا الى الخمول والسكون مدة طويلة

المتوحش — المتوحش يكره العمل بشهادة السياح والفلاسفة ثم ان علماء اللغات زكوا هذه الشهادة بان ابانوا ان الكلمات المستعملة للعمل في كثير من اللغات كالعبرانية واليونانية واللاتينية والفرنسية والايطالية انما تعني التعب والمشقة . ومن رأي بعض العلماء ان اعنياد العمل من مبتكرات الانسان المتقدم . على ان الشعوب المتوحشة تعمل اعمالاً كثيرة وان تكن البواعث التي تحملها على العمل ليست نفس البواعث التي تحمل الامم المتقدمة عليه . وليس كرهها للعمل ناشئاً عن التعب البدني بدليل انها تعمل بعض اعمالها ك بعض انواع الرقص مثلاً حتى تكمل فتقطع عنه من فرط التعب والاعياء . بل هو ناشئ عن اجهاد الفكر والارادة . فكره المتوحش للعمل مصدره عقلي لا بدني وهو يجيد بالرقص وما اشبهه من الحركات وسيلة سهلة

لانفاق القوة العصبية المذخورة في دماغه من غير ان ينزعج هذا وقد كتب احد العلماء كتاباً في وصف بعض القبائل المتوحشة . ومما قال فيهم انهم جامعون للاضداد فهم اسرع الناس في قضاء الاعمال وابطاهاهم وهم اقواهم واضعفهم واميلهم الى الحرب والينهم عريكة . وانتقلهم من حالة الى ضدها يتم باسرع من وميض البرق . واذا جلسوا للراحة بعد العمل طالت مدة استراحتهم كثيراً . فانهم يطاردون الغزال مثلاً ساعات متوالية ويفزون القبائل المجاورة لهم اياماً متتابعة ومع ذلك فالمعروف عنهم وعن نسائهم واولادهم انهم يقضون معظم اوقاتهم مستلقين على ظهورهم مترغين في التراب . فاذا قيس عملهم بالساعات وجب ان تقاس راحتهم بالايام

الجنس — لا يبعد ان يكون لكل شعب من الشعوب اوقات ينتقل فيها من العمل الى البطالة ومن البطالة الى العمل ويصح ذلك بنوع خاص اذا فرضنا ان للشعوب صفات ذاتية تقابل المواهب التي يمتاز بها النوابع . فقد قال احد علماء الانكليز في الكلام على نوابع الامة الانكليزية ان لظهورهم وانقطاعهم ادواراً كما يظهر من توزيعهم في القرون وانصاف القرون . فعصور التاريخ كعصر الملكة اليصابات وعصر الملكة فكتوريا في تاريخ الانكليز وعصر القيصر اوغسطس في تاريخ الرومان وعصر بركليس في تاريخ اليونان وما اشبهها من العصور في تواريخ الامم الاخرى كلها ادلة على وجود النوابع في فترات قصيرة على حين ان العصور المظلمة طويلة المدة ولم يبق فيها نابعة . ألا ترى ان ثورات اوربا المختلفة وحوادثها السياسية العظيمة والاختراعات والاكتشافات حدثت في عصر بركليس عند اليونان القدماء وعصر اليصابات وفكتوريا عند الانكليز وفي هذا العصر عند الاميركيين وعليه في الشعوب كما في الافراد ثم عظام الاعمال في اقل الاوقات . يتم في سنة ما لا يتم في قرن

يظهر مما تقدم ان اجهاد القوى لانتمام الاعمال في مدات قصيرة واتباع ذلك بمدات اطول للراحة خير نظام يمكن اتباعه في الاعمال كما اثبتت الاخبار والادلة الكثيرة في طرق ترويض الانسان والحيوان وتقصير اوقات الدرس الى نصف ما هي عليه وانقاص ساعات العمل للعمال ومستخدمي المحلات التجارية . وقد أبان بعضهم ان ساعين من العمل البدني او العضلي في اليوم تكفيان الناس اذا امكن توزيع نتائجها عليهم بالقسط بعد ما تم من الانفاق في الآلات التي تغني عن يد الانسان والسهولة في طرق النقل . وما قيل في الاعمال البدنية يقال في الاشغال العقلية ايضاً . وهذا ما لا بد ان يتم في مستقبل الايام

(ملخصة من مقالة للدكتور الكسندر فرنسيس شمبلان في مجلة العلم العام الاميركية)

الصحيح من الفراسة

امارات الخوف

محبة الذات خلق راسخ في النفس لكن ليس لها علامة ظاهرة تدل عليها فلا يستطيع المصور مهما كان ماهراً ان يصور انساناً صورة تدل على انه محب لنفسه . الا ان محب نفسه اذا رأى ما يسرُّها ابتهج او اظهر المحب والخيلاء واذا رأى ما يخشى منه عليها اظهر الخوف والاحجام او الجرأة والإقدام . وللخوف والاحجام والجرأة والإقدام امارات تدل عليها كما تقدم . اما محبة الذات المطوية تحتها فلا امارات لها لانها من القوى المتجهة الى داخل الانسان فلا علامة لها في ظاهره ولكنها حاملة لتهيج الرعب في النفس وهو الدرجة الاولى من الخوف . فاذا رأى الانسان او الحيوان ما يخشى منه عليه ارتاب فيه أولاً ثم خاف واجم او تجاسر واقدام . وامارات الرعب ضعيفة تظهر بارتفاع الحاجبين والشفة العليا وتضييق الفم وتغضن الجبين . واذا اراد المرتاب ان يعرب لغيره عن ربه من غير كلام بالغ في هذه الاشارات وهن كتفيه او يديه ووضع سبأته على خده او على جانب انفه او تحت جفنه الاسفل وجذب عينه بها قليلاً ويبدو منه حينئذ صوت يختلف باختلاف الشعوب ويدرك معناه عندهم بسهولة . هذه الاشارات ما سببه واضح كرفع الحاجبين فانه ناتج عن المبالغة في فتح العينين كأن الانسان يحاول ان يعمن نظره في ما هو مرتاب منه لكي يتبينه جيداً ومنها ما سببه غير واضح كوضع السبابة على الخد

ويصير الرعب ملكة في النفس فتبدو ملامحه في الوجه وتكون على اشدها في المجنون المصاب بجنون الاضطهاد اي الذي قام في نفسه ان الناس يضطهدونه ويحاولون الايقاع به قتراه ينظر الى ما حوله نظر الخائف المسترب حاجباه مرتفعان او احدهما مرتفع والاخر منخفض وعينه مضطربتان ينظر يمنة ويسرة وهو زام شفتيه ينغض رأسه حيناً بعد حين ثم يقف كأنه ينتصت لاصوات لا يسمعها غيره . وهذا مرض كما لا يخفى ولكن في الاصحاء علامات اخرى تدل على الرعب كنفق الطلاقة من الوجه والميل الى الخصاص والى الخجل

وقد افاض اهل الفراسة في وصف ما حسبه أدلة على الخوف والجبن كنعومة الشعر مستدلين على ذلك بنعومة صوف الغنم وشعر المعزى وكنعومة الجلد وانحناء القامة ونحافة عضلات الساقين واصفرار الوجه وضعف العينين واسوداد الحدقتين الى غير ذلك من المزاعم والسخائف التي يغني ذكرها عن اثبات فسادها

امارات العقل والتفكير

افاض اهل الفراسة في وصفهم دلائل العقل والذكاء . وفي الارجوزة العربية المشهورة في القيافة كلام كثير من هذا القبيل فما جاء فيها عن الجبين

كل جبين بارز معتدل	فهو دليل العقل عند الاول
والاستواء ودقة في الارنية	ثم ارتفاع الانف نعم الموهبة
دلائل للعقل ثم النعم	وجودة الفهم وحسن الطبع
وكل مستديرة رقيقة	وهي خلف الراس كالمصوفة
دلالة على الذكاء والعقل	وخفة النفس وحسن النعل
والشفة الرقيقة الحمراء	مع صغر النم هي الحسناء
وهي دلالة لحسن العقل	وحسن اخلاق وحسن فعل
وكل كوسج فذو كياسه	وذو فطانة وذو فراسه
والشعر فالاجود منه الاوسط	في قلة وكثرة لا المفرط
وفي خشونة وفي جعوده	فهذه صفاته المحموده
هذا دليل العقل والذكاء	وجودة التدبير والآراء
والشحم في الوجوه باعندال	علامة للعقل في الرجال
واجمعوا ان وسيع الصدر	كثير روح وطويل عمر
وانه ايضا دليل قطعي	لجودة الفهم وحسن الطبع
والبطن منه ان خلا من شعر	دليل فهم وصواب فكر
وفي الاصابع قالوا وطول في اصابع اليد	ينبئ عن صحة خلق الكيد
وجودة في العقل ثم الطبع	وشرطها اللين وحسن الوضع

ولو نقلنا ما ذكره هذا الراجز من دلائل الحق والبله في الاعضاء المذكورة لقامت علينا قيامة القراء وحق لهم ذلك لانه يصدق على اكثر الناس . لكن ما ذكره من الوجهين فاسد على حد سواء ننتق منه في بعض الناس ولا ننتق في غيرهم لانه ليس من ارتباط سببي بينه وبين العقل فقد تجتمع جودة العقل مع دقة الشفة وقد تجتمع مع غلظها كما تجتمع مع استدارة الاذن ومع طولها ومع طول القامة ومع قصرها

ولم يبحث احد من اهل الفراسة بحثا استقرائيا واسعا حتى يعرج لهم ان يبنوا مثل الاحكام المتقدمة وانما استدلوا على صحة احكامهم بملاحظات قليلة جدا لا يمكن ان يبنى عليها حكم

او باستدلالات تضحك الاطفال كالاستدلال بنعومة الشعر على الجبن من نعومة صوف الغنم
وبطول الاذن على الجهل من مشابهتها لاذن البهائم . قال الراجز ولم يجد
والاذن الكبيرة المقدار دلالة للطول في الاعمار
لكنها للشبه بالبهائم للجهل جاءت اصدق العلام

ومما يحسن سرده في هذا المقام ان النابغين من علماء العرب ادركوا فساد ذلك قال صاحب
كشف الظنون في كلامه على قيافة البشر انها تدرك بالحدس والتخمين لا بالاستدلال
واليقين . وقد انتبه بعضهم الى الفراسة الصحيحة المدلول عليها باعمال الانسان واحواله وهيئاته .
فقد جاء في كتاب لطائف المنن والاخلاق للسيد عبد الوهاب الشعراي قوله " والعلماء في
ذلك كتب كثيرة لكن غالب فراستهم من حيث رؤية اعضاء الجسد الظاهرة .
وهذه الفراسة انما هي من حيث الاعمال والاحوال والهيآت " الى ان قال " كل من
رأيتوه كثير الصمت والفكر والطمانينة في الحركة وحفظ العين من فضول النظر الى اثبات
البصيرة في وجوه الناس لغير غرض فهو دليل على قوة عقله وفهمه وغير ذلك يكون من صفات
المجاذيب ارباب الاحوال والمجانين . ومن رأيتوه يقرمط انفه مع عبوسة وجهه فهو دليل على قيام
نفسه وعدم انقيادها ونعها بكلامكم " الخ ويحتمل ان يكون كثير مما ذكره خطأ لكنه كان
على الصواب في الاستدلال على احوال النفس بالاشارات والحركات البادية في الوجه
هذا ولنعد الى ما يقوله اهل الفراسة الصحيحة قالوا :

من حين تأخذ دقائق الدماغ تنعل فعلها الذي نسميه فكراً لا نتوقف عن هذا النعل
توقفاً تاماً الا بانصرام جبل الحياة والمرج انها تنعل في النوم كما تنعل في اليقظة ولونسينا حينما
نستيقظ ما كنا نفكر به ونحن نيام . وهذا التفكير المستمر تبدوا آثاره في الوجه ولو كانت طفيفة
جداً فلما ينبته لها وبها يمتاز وجه الحي عن وجه الميت . واكثرها في ابراق العينين وحركات
عضلات الوجه فاذا لم يبد شيء من هذه الملامح في الوجه قيل ان صاحبه بليد خامل . واذا
اريد التدقيق ظاهر ان اكثر معاني الوجه العقلية محصور في بقعة ضيقة بين الحاجبين وفي وسط
الجبين حتى سمي دارون العضلات التي تقطب الحاجبين عضلات التفكير . ومن رأيه ان
نقطيب الحاجبين يحصل اولاً من تعب الفكر وقد يكون فيه رجعة الى ما كان اسلاف
الانسان يأتونه وقت التحديق الى الاشياء مخافة ان يكون فيها عدو مقبل عليهم فصاروا يقطبون
حواجبهم كلما امعنوا نظرهم

وخالفه الاستاذ منتغزا في ذلك وقال ان مجرد الاهتمام بالامر يدعونا الى الميل اليه بحاسة

من الحواس الظاهرة او الباطنة ولا سيما اذا كان ممّا يرى او يسمع فاذا كان ممّا يرى وهما امره ترانا نميل اليه بكليتنا فنحنى ونحدق فيه كأن عضلات العنق والجذع كلها تحاول تقريب العين منه لكي لا يفوتها نظره واذا كان ممّا يسمع ملنا اليه ايضا بكليتنا واذا كنا نسمع باذن اكثر ممّا نسمع بالاخري املنا اليه الاذن الشديدة السمع ووضعنا الكف وراءها لكي نجتمع تموجات الهواء. ونستطيع ان نهيج حاسة الذوق والشم واللمس لكن لا يبدو منها من الامارات الدالة على تهيجها كما يبدو اذا تهيج النظر والسمع. واذا كان المهيج للحواس داخليا في بدن الانسان او في مراكز شعوره العقلي انتبه له كما ينتبه الى المهيجات الخارجية فترى المصاب بالسوداء المعتقد ان في قلبه نبضانا شديدا او في امعائه حركات غير عادية يصغي الى نبضان قلبه او حركات امعائه اصغاء الخائف الوجل كأنه يصغي الى وقع اقدام عدو قادم عليه او اصغاء الفيلسوف المفكر في اعوص المسائل الحكيمة

واذا اشتد تفكير الانسان انصرفت قوته كلها الى نفسه اي الى باطن دماغه فشخص ولم يعد يدي حركة وظهر كأنه غاب عن الوجود. واذا زاد التفكير شدة زاد انصراف القوة عن عضلات الوجه حتى لم تعد تقبض الفكين فينتج الفم ويتدلّى الفك الاسفل وتظهر على الوجه امارات البلادة والبله. ولكن اذا انخل رباط التفكير ولو بكلمة يقوها الانسان عادت الحركة الى الوجه والى سائر الاعضاء التي تشير بها ونحن نتكلم

ولا بد من الاشارات وقت الكلام واذا منعت الخطيب عن الاشارات وهو يخطف يضيق نفسه حتى يكاد يخنق وبعض الناس لا يستطيعون الكلام ما لم يحركوا ايديهم وارجلهم معاً. وهذه الحركات غير الحركات التي يراد بها تنبيه الاعصاب كفرك الجبين وحك الراس ونف العثنون واللعب بالحية. والظاهر ان ادمعة الناس مختلفة من هذا القبيل فالبعض يتنبه دماغهم بفرك الجبين والبعض بحك الراس والبعض بشف العثنون كما كان يفعل الحريري صاحب المقامات فقال فيه الشاعر

شيخ لنا من ربيعة الفرس ينتف عثنونه من الهوس

والعثنون شعر الذقن كما في حية الكوسج. والبعض بالمشي والبعض بالركوب والبعض باللعب بالسحرة والظاهر ان للعادة الفعل الاكبر في ذلك

ثم ان اوضاع الانسان وحركات رأسه ووجهه تختلف باختلاف الشغل العقلي الذي يشغله فاذا كان يفكر في امر ظهرت على وجهه علامات الذهول المشار اليها آنفاً واذا كان يريد ان يتذكر شيئاً غاب عنه ذكره شخص يبصره الى الاعلى او الى الاسفل واغمض عينيه وفرك

جيبته براحة يده او لظمه لظماً وهذه الحركات تعين الذاكرة بتبيين دقائق الدماغ
واذا شرع يتكلم اخذ جسمه كله يساعد على الكلام ويعبر عما في نفسه باشارات يفهمها
الناظر اليه وقد يراها ابلغ من كلامه . وما من خطيب الا وله اشارات يستعين بها على ابلاغ
معانيه الى اذهان السامعين واذا لم تكن الاشارات منطبقة على المعاني او اذا كانت مناقضة لها كما
اذا حفظ الخطيب خطبته غيباً من غير ان يفقه معناها فجاءت اشاراته في غير محلها اشماز منه
السامعون او اغربوا في الضحك

لم نغرب قط في الضحك قدر ما اغربنا مرة اذ سمعنا احد الظرفاء يتقلد تلامذة المدارس
وقد استظهروا قصيدة تنيسن المشهورة التي نظمها في وصف فرسان الانكيز وقت هجمتهم
المشهورة في حرب القرم فانه كان ينطق بها كتقليد حفظها غيباً وحفظ الاشارات التي يشار بها
معيها . وصار يتلو البيت وينسى ان يبدي الاشارة معه فيشير بها بعده وقد يخطئ فيشير بعكس
المراد ثم يصلح خطاه فيقول مثلاً امام ويشير بيديه الى الوراء ثم يظهر عليه كأنه انتبه لخطاه
فيشير الى الامام وقد اغرب كل الذين سمعوه في الضحك كما اغربنا

والفصحاء الطلقو اللسان تتبع اشاراتهم كلماتهم كأنها جزء منها واما اهل الحصر والعي
فنتقدم اشاراتهم على كلماتهم كأنهم يستخرجون بها الكلام من افواههم استخراجاً

واهل القرائح الوقادة ترى نور القريحة يتلألأ في عيونهم يبدو فيهم حيناً تهيج قريحتهم
ولو حاولوا ستره وتظهر آثاره في ما ينظمونه ويصورنه سواء كان بالكلام او بالالوان فيفعل
بنفوس القارئ والناظرين . نقرأ مرثاةً منجعة نظمها الراثي ودموعه تحو طروسه فلا تستطيع الا
ان تشاركه في البكاء والتوجع . وترى صورة جميلة فتعشقها كما تعشقها المصور

لكن هذه الامارات لا تبدو على وجه النابغة دائماً بل حيناً تهيج قريحته وفي ماسوى
ذلك يكون كسائر الناس او تظهر عليه سمات البلادة والبله كأن مصباح القريحة شديد
الانقاد فيحرق زيته سريعاً وينطفئ الى ان يوضع فيه زيت جديد وليس هذا القول من قبيل
التمثيل بل هو حقيقة لان القوة الاتية من الدم الى الدماغ تنفذ سريعاً اذا افترط في استعمالها
فتكل الاعصاب وتطلب الراحة الى ان يتوفر لها الغذاء

ويقال بنوع عام ان للنوابغ ولكل المشتغلين اشغالات عقلية امارات واضحة ولكنها لا تبدو
في وجوههم الا وهم يفكرون قليلاً يرمخ منها في الوجه الا غضون الجبين وهي غير خاصة بهم ولا
دائمة فيهم

انتقاء الالفاظ

دخلت مرة على جماعة من المتحكيين بالادب فرأيتهم يهتزون طرباً ويكبرون استغراباً وعجباً فما استقرت بي المجلس حتى عرفت الذي استفز عواطفهم واستخف حواسهم فقام بها وقعد وهو انهم كانوا يتلن قصيدة الاخل في وصف حمار الوحش ويعجبون لما فيها من البلاغة حاسبين معرضها معترك الفصاحة وجل ما يرد من حسن البيان . واذا استطلعتهم جهة الحسن فيها لم يكن لديهم ما يقولون الا ان بلاغتها قائمة بما فيها من الالفاظ المتعلقة حتى ان علماء هذا الزمان لا يستطيعون فهمها بدون الاستعانة بالمعاجم الضخمة . فقلت لهم رويدكم يا قوم فهي ليست على ما تزعمون من البلاغة ونظم مثلها ليس بالعمل الشاق وان كانت البلاغة تقوم عندهم بالغرابة فاذا شئت نظمت لكم الآن على البحر والقافية الفاظاً لا يفهمها احد منكم فقالوا هات ان كنت من فرسان هذا الميدان لنتقي اليك مقاليد الكلام وحسن البيان فقلت على البديهة :

سَحَابٌ أَغْرِيَةٌ رَفَّتْ سَوَاجِلُهُ وداعلتهُ كروفُ الدهرِ فاندعلا
يحبو علي خُصْفٍ وَالبَشَقُ غَايَتُهُ كأنه من بُلُومِ المستفار شلا

فصاحوا بي مهلاً لنكتب هذه الآيات الباهرة كي لا تضع فائدتها واخرج بعضهم قلماً وقرطاساً فانكبوا على التدوين واندفعت في الاملاء الى ان املت عليهم اكثر من عشرين بيتاً من هذا النوع . وبعد ان اوسعوني اطراءً وعجاباً وآست منهم الدعة والسكون قلت لهم اتحسبون ما اخذتم عني الآن بليغاً؟ قالوا كيف لا نحسبه كذلك ونحن لم نفهم منه شيئاً . قلت ولا انا فهمت منه شيئاً قالوا وكيف ذلك قلت لانه ليس فيه شيء يفهم وما هو الا الفاظ مرتجلة لا معنى لها ومثلي معكم مثل ذلك الطيب الذي جاءه رجل فقال : اصلحك الله اكلت من لحوم هذه الجوازل وطسيت طسة فاصابني وجع بين الوابله وداية العنق فلم يزل ينمو ويربو حتى خالط الحابل والشراسيف فهل عندك دواء . قال الطيب نعم خذ خربقاً وسلفقاً وشربقاً فزهقه وغسله بماء رطب واشربه . فقال المريض لم افهمك قال الطيب ما افهمتك الا كما افهمتني . وانتم لم تفهموا من ايات الاخل اكثر مما فهمتم من اياتي فلا ترجعوا عن مدح ما كتبت لاجل امر معنوي لا يهمكم قالوا قد فهمنا ما تريد وانك لا تنوي الا تنبيهنا الى معاني الكلام دون الفاظ . قلت نعم اني اريد بعض ما ذكرتم لان اللغة ليست الا وسطاً شفافاً بين الافكار تمر فيها المعاني وتنقل بواسطتها من المتكلم الى السامع كما تمر اشعة النور في الزجاج وتصل الى العين وبنقاوة الزجاج مما يوقف الاشعة ويجول دون نفوذها تزيد صور الاشباح

وضوحاً وجلاءً . فاللغة نتيجة الفكر والغرض منها التفاهم ونقل ما يدور في وجدان زيدٍ الى وجدان عمرو وهذا هو المقصد الاول من وضعها ولاجل هذه الغاية تكيّفت في الانسان اعضاء الصوت واجزاء الفم تكيّفاً تدريجياً الى ان بلغت مبلغاً تستطيع معه الافصاح عما يتولد في العقل من المعاني باصواتٍ ومقاطع اصطلح عليها البشر لتدل على ما يريدون من الصور . فالنطق في الانسان نشأ مع عقله وكما زاد الدماغ اتساعاً زاد اللسان بياناً . ومثلكم بالالفاظ التي لا تفهمون معناها مثل من ينظر الى الاشباح من وراء برقع كثيف لا يرى الا ذلك البرقع وبها لا يدرك غرض التفاهم المطلوب من اللغة والذي هو اول اغراضها . فقال احدهم : اذن لا شيء من الالهمية للالفاظ في حسن البيان قلت ان غاية اللغة غاية معنوية لا غاية لفظية واي لفظ اتفق المتفاهمان على دلالة يصير حرياً بتلك الدلالة بينهما وهي تكون مصاحبة له ايان برز . على انه مهما كانت المعاني اصلية في غاية اللغة ومهما كان للصناعة المعنوية في الانشاء من الالهمية الكبرى فللا لفاظ شأن ليس بالقليل في تحسين تلك المعاني وتحبيب صورها للعاطفة العقلية وسبب ذلك على ما ارى هو ان الاوضاع اللفظية تتحد بالمعاني التي وضعت لاجلها وتصبح من جلة خواصها وصفاتها والصور العقلية تجمل بجمال صفاتها وتقيم بقيمتها . فكما ان السماء جميلة بنجومها واتساعها ولونها الازرق كذلك هي جميلة باسمها الرقيق اللين الذي ينطق به الفم وتسمعه الاذن وتلقاه العقل بدون ادنى تبرم او استكراه وعند ما تقرأ صورتها في خاطرك تقرأ مصحوبة باسمها فلو كان ذلك الاسم كريهاً على السمع ونائياً عن الطبع لحط من قدر جمالها ونقص من بهائها وكملها . لذلك يتحتم على الكاتب والشاعر والخطيب ان يختار لمعانيه احب الالفاظ الى الاذن واقرها الى الفهم

قال آخر : اذا كان الامر كذلك وكلمة واحدة تفي بالمعنى الواحد فلماذا عني واضعو اللغة بوضع المترادفات الكثيرة للدلالة على المعنى الواحدة

قلت : ان اولئك الواضعين كانوا متفرقي الكلمة ومشتتي المساكن فلم يتيسر لهم ان يؤلفوا وهم في حال الهمجية والبداءة مجعاً لغوياً يتكفل اعضاؤه بوضع الفاظ مرتجلة او كلمات مشتقة للمعاني التي تحدث بين القبائل فصارت كل فصيلة من فصائلهم تضيف الى الاوضاع الاساسية اوضاعاً جديدة تمس الحاجة اليها وتجريها على السنة افرادها بينما غيرها من الفصائل المجاورة كانت تضع لتلك المعاني نفسها الفاظاً غير تلك وهذا احد الاسباب التي اوجدت المترادفات في كل لغة من لغات العالم . وقد يمكن ان القبيلة الواحدة وضعت للمعنى الواحد اكثر من لفظة او ان تلك الالفاظ كان بينها يوم وضعها فروق دقيقة نسبها الخلف حتى اصبح اليوم بمعنى واحد .

نعم ان وجود هذه المترادفات لما يُربك الكاتب ويضعه موضع الحيرة في ايها يختار لجملة الآ
ان صاحب الذوق السليم يميز بين مليحها وقبيحها ويدرك بحسن اخباره اي المترادفات اليت
لعبارة واقوم بجانبه مع مراعاة المقام من جهة الانفعال والسكينة. مثال ذلك السيف والصارم
فانهما بمعنى واحد الا ان السيف يفيد معنى الآلة في جميع حالاتها مغمداً ومسلولاً والصارم باشتقاقه
من الصرم يفيد معنى القطع فلا يليق استعماله الا اذا اريد الاشارة الى فعله فلا يقال بدل
ثقلد سيفه وخرج مثلاً ثقلد صارمه وخرج بل يقال "فرجت جيشهم بالصارم الذكر". وينظر
ايضاً الى عدد الحروف ليختار اكثرها حروفاً في مقامات الانفعال والشدة كالجحفل الجرار بدل
الجيش في قوله

خلوا لنا ماء الفرات الجاري او فاثبتوا لجحفل جرار
اذ الموقف يستدعي التهويل والتعظيم وكما امتد الصوت وثخنت مخارج الحروف كان
التعبير اوفى بالغرض واكمل للغاية . والجيش احسن من الجحفل في قولنا لم بقايا الجيش
وتساند بهم . ففي الكلام المحبوب بالسكينة والهدوء تختار الالفاظ القصيرة والريقة على الطويلة
الجزلة . ومثل ذلك قول المتنبي

امعز الليث الهزبر بسوطه لمن اذخرت الصارم المصقولا
فما ان المقام يقتضي الفخامة والمبالغة استعمل معزاً بدل جادل والليث الهزبر بدل الليث
وحدها واذخر بدل ذخر والصارم المصقول بدل السيف . كذلك اذا كان لاحدى المترادفات
معان كثيرة لا يجوز انتقاؤها للعبارة تخلصاً من الالتباس فلا يقبل استعمال الخال بدل البرق
الا اذا قامت على هذه الدلالة قرينة قاطعة كأن يقال اومض الخال . ومن ذلك ترى ان
المترادفات لم توضع بدون حاجة اليها ولا يمكن الاستغناء عنها في اللغة انما يجب على الكاتب
ان يفهم معانيها فهماً دقيقاً ويراعي ما ينبه لفظ كل منها من العواطف فلا يجيء في كلامه
الا بما كان راسخاً في محله آتياً على آخر الدلالة

قال آخر . قرأت في كتاب طبع حديثاً ان افصح الالفاظ ما كان كثير الاستعمال وفيهمه
الخاصة والعامة وان فصاحة اللفظ تقاس بعدد الذين يفهمونه . فماذا نقول في ذلك
قلت : لا انكر ان اللفظ المفهوم هو افصح من المجهول واجدر منه بالاستعمال الا انني اكره
ان يجرنا هذا القول الى ترجيح المبذل فقد نبه أكثر علماء البيان على ان اللفظ الذي مضته
افواه العامة وكثر دورانه على ألسنتهم في المقامات الدينية يختار تركه والتجانب عنه توفراً على
البلاغة اذ هو نتيجة النفوس وتلفظه العقول لانه قد اذلت كثره الاستعمال واهانه الابتذال .

قرأت مرة ان احد ادباء الانكليز عرض مقالة على كاتب بليغ وطلب منه انتقادها فقال الكاتب
 كلها جميلة بليغة الا ان عبارة Buchered to make a Roman holiday لم استحسنها
 قال الاديب "عجب من عدم استحسانك اياها على ما هي عليه من البلاغة والشهرة والشيوع"
 فقال الكاتب "نعم هي بليغة ولكن بعد ان تسمع ثمانية عشر الف مرة تصير ممولة" كذلك
 نقول نحن عن العبارات التي اولع بها الكتاب مثل كالشمس في رابعة النهار . لا يختلف
 فيه اثنان . ان اصبحت فرمية من غير رام . الصبح من شيم الكرام . زاد الطين بلة . تفرقوا
 ايدي سبا . حدث ولا حرج . ضرب الجبل اطنابه وكثير غيرها . نعم ان هذه العبارات حسنة
 الوضع وافية بالغرض غير انها صارت مسؤومة ممولة ولنا في غيرها غنية عنها . ولا يوجد في اللغة
 كلام يصح فيه قول الشاعر

مشرق في جوانب السمع لا يخبئ لبقه عوده على المستعبد

او قول الآخر

وهو المشبع بالمسامع ان مضى وهو المضاعف حسنة ان كررا

اذ هو مبالغة في وصف الكلام الممدوح تدعو اليه الصناعة ولا يخرج عن حد قول الآخر
 أعيد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كرره يتضوع

بيد ان اعصاب الشم اذا طال عليها استنشاق المسك تألفه ولا تعود تشعر له برائحة كما
 اذا وضعت وردة على خيشومك واطلت شمها . وامر المسك ينطبق على الالفاظ والعبارات
 فكل قول يكثر تكراره على السمع يألؤه العقل ولا يعود يحس معه بالمعنى الذي وضع اللفظ
 لاجله . نحن نكتب لاحاد الناس "جناب الاجل الامجد" ولا نشعر معها بشيء من الجلال والمجد
 اما لو ترجمناها الى الانكليزية وقلنا The most majestic and the most glorious
 او الى الافرنسية وقلنا Le plus majestueux et le plus glorieux لاهتزت
 عند لفظها اعصابنا وارتعدت فرائضنا وشعرنا اننا نخطب الخالق جل شأنه . وهذا نشاهده
 ونشعر به عند ما نسمع واعظا فصيحاً يخطب بلغة اجنبية نفهمها فاننا ننفل من كلامه ونشعر
 بتأثير جديد واذا نقلنا اقواله الى لغتنا لا نجد فيها اكثر من كلمات مبتذلة ومعان كثيرة
 ما طرقت فلا تتر من الا على قلوب جامدة ونفوس باردة . وهذا الفرق ما نشأ الا من
 الابتذال وكثرة الاستعمال وعندنا ان الجليل اعظم من الاجل والمجد اكبر من الامجد وهو
 مخالف للوضع ولذلك لا محل بعد للريب ان الالفاظ التي لا كتبها افواه العامة في المواضع
 الدنيئة يختار اجتنابها كما يختار اجتناب الغريب النافر

فقال حسبك عن الابتدال واذكر لنا شيئاً عن الغريب النافر فهو الذي اوصلنا الى ما نحن فيه
قلت : ها عيان اختار افرادها رغبةً بمعايير الكلام عن الامتزاج . فالغريب هو ما ندر
وروده في ادبيات السلف وقل استعماله حتى يكاد المظالم لا يعثر عليه الا في المعاجم الكبيرة
والالفاظ الغريبة قد تكون رقيقة او جزلة تسمعها الاذن وتُسيغها بدون تكلف وخالية من كل
ردّة يكرها الذوق الا ان ذلك لا يُغني عنها شيئاً اذا لم تكن قد وردت مرّات كثيرة في
مقالات البلغاء . ولا يلام احدٌ اذا جهل دلالة مثلها لانه لا يكلف محترفو حرفة الادب ان
يدرسوا المعاني الا اذا عثروا على الفاظها في تضاعيف كتب الادب وارده في عبارات يلذ بها
القارئ . والالفاظ الغريبة والقليلة الاستعمال كانت في الجاهلية والاسلام كما هي اليوم ولم
يكن يستعملها الا المتقوون المتخذون ادلاء بانهم يعرفون ما يجيئهم غيرهم او لغرض آخر
تبعث اليه الاحوال . هذه الايات التي اشتهرت ببلاغتها وفصاحة الفاظها لم يكن فيها شيء
يذكر من مثل هاتيك المواد الغريبة عندنا منها شعر السموأل واكثر ايات الحماسة الماثورة
في الحافظات وشعر زهير بن ابي سلى وعمر بن كلثوم وعنترة العبسي وفي المخضرمين كلام الصحابة
كخطب الخلفاء الراشدين ومن عاصرهم من تكلم بلغة قريش وهم افصح العرب . يمثالهم لنا امام
البلغاء وسيّد الخطباء الامام علي بن ابي طالب الذي ادرك الجاهلية وعرف الداء على السنة
اهلها وميز بين الحسن والقبيح منها فلم يورد من الغريب الا القليل وكل شعره مثل قوله
الناس من جهة التمثال اكفاء ابوهم آدم والام حواء
فان يكن لهم في اصلهم شرف يفاخرون به فالطير والماء
ما الفضل الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء
نخذ لنفسك علماً كي تعيش به فالناس موتى واهل العلم احياء
وجل نثره على هذا الحد : " لا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن
الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر
عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقيح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل " وفي التهديد
كقوله لمعاوية " ذكرت انه ليس لي ولا صحابي الا السيف فلقد اضجكت بعد استعبار متى
القيت بني عبد المطلب عن الاعداء ناكلين وبالسيوف مخوفين فسيطلبك من تطلب ويقرب
منك ما تستبعد وانا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان شديد
زحامهم ساطع قتاهم متسربلين سربال الموت احب اللقاء اليهم لقاء ربهم قد صحبتهم ذرية
بدرية وسيوف هاشمية عرفت مواقع نصالها وما هي من الظالمين ببعيد " ولا يخرج بما اورده

من بعض الالفاظ الغريبة في كلامه فان هذا منه ما وضعه غيره ونسبه اليه ومنه ما دفعته اليه
 كثرة المادة وغزارة المعرفة في الفاظ العرب وهو قليل جداً في جنب ما له من الكلام السلس
 واللفظ الرقيق الجزل . وليس الامر كما يظن لأول نظرة ان الغريب اليوم كان مألوفاً عندهم
 لانه لو كان كذلك لاستعمله كل شعرائهم وخطباءهم . وعلى هذا المنوال نسج الكتاب البلغاء
 مثل ابن المقفع وعبد الحميد والصاحب وابن العميد والصابي وابي بكر الخوارزمي وبديع الزمان
 وابن الاثير وابن خلدون والمسعودي وغيرهم ولا عبرة بما جاء في بعض الكتب اللغوية كمقامات
 الحريري من الالفاظ الغريبة التي لا نألفها اليوم فغرض صاحبها كان ان يجمع كتاباً يقيّد فيه
 شوارد اللغة فالكاتب التي من هذا النوع هي معاجم تجمع فيها الكلمات لا كتب ادبية يستن
 بسنتها ويجرى على خطتها . وان ورود اللفظة مرتين او ثلاثاً في كلام اساطين البلاغة لا يكفي
 لتجويز استعمالها وهذا مما يجب الانتباه اليه عند الانشاء فلا يُورّد الا ما كان بين المتأدبين .
 وقع لي مرّة ان رايت في خطب الامام عليّ قوله يهرثون بعضهم بمعنى يكرهون فعلقت في
 ذهني واستعملتها اذ عرض لها موقع في مقال قدمتها للمقتطف فاخذني بها صاحبة العلامة
 الفاضل وكتب اليّ يقول انه لامرّية لهذه اللفظة على مرادفها كره الا بان هراً مجهولة متروكة
 وكره مفهومة شائعة وانه يستحسن الاعياض عن تلك بهذه حرصاً على راحة القراء وكفايتهم
 مؤونة الحملقة في المعاجم . هذا ما يغرّر بالكتاب اليوم وينشطهم على اقام الغريب في عباراتهم
 حاسبين ان كل ما يستعمله بلغاء السلف لا يكون غريباً وان كان فهو ثقيل محمود
 اما النافر فاريد به ما تكرهه الاذن وينهرم به اللسان سواء فهم معناه او لم يفهم فان فهم
 معناه كان فيه عيب واحد وان لم يفهم اجتمع عليه حشف وسوء كيلة عيب الغرابة وعيب النفور
 مثل اطلخم في قول ابي تمام

قد قلت لما اطلخم الامر وانبعثت عسواء تالية غساً دهاريسا

اطلخم بمعنى اسود والعسواء الظلماء والدهاريس الدواهي وكل البيت غريب نافر ولا يخرج
 منه معنى جليل هذا مع ان صاحبه يقول

وما لك بالغريب يد ولكن تعاطيك الغريب من الغريب

فهو ينهي عن المنكر ثم يرتكبه . ومن هذا القبيل لفظة العطبول في بيت المتنبي يحاطب
 حبيبهُ ويشير الى الشمس

مثلا انت لوحتني واسقمت وزادت ابها كما العطبول

وزاد عمر بن ابي ربيعة عليها ياءً فزادها غلاظة خصوصاً لانه جاء بها في معرض رثاء نظمه

لامرأة المخنار التي قتلها مصعب بن الزبير

ان من اعظم المصائب عندي
كُتِبَ القتل والقتال علينا
قتل حوراء غادة عيطبول
وعلى الغايات جرّ الذبول

واغلظ منها قول المتنبي بدل نفرت

جَمَحَتْ وهم لا يجفخون بها بهم شيمٌ على الحسب الاغر دلائلُ
سمع اعرابي ابا المكنون النحوي يجار في دعاء الاستسقاء ويقول " اللهم اسقنا غيثاً مريعاً
مجلجلاً مستحوراً سحاً مسفوحاً دراكاً لكاكاً طيقاً غدقاً متفجراً " فقال يا خليفة نوح هذا
الطوفان ورب الكعبة دعني حتى آوي الى جبل يعصمني من الماء . وسمعه يقول في يوم
برد هذا يوم بلّة عصبص بارد هلوف فارتعد وقال هذا والله ممّا يزيدني برداً . وقال ابو
الاسود الدؤلي لابي علقمة ما حال ابنك قال اخذته الحمي فطبخته طبخاً ورضخته رضخاً فتركته
ترخاً فطلق زوجته فتزوجت بعده وحظيت وبظيت . قال فما بظيت قال له حرف من الغريب
لم يبلغك بعد فقال يا ابن اخي كل حرف لا يعرفه عمك فاستره كما تستر السنور فرثها . ولا
يشفع للكلمة الغليظة كون معناها مفهوماً فهو قد يكون معروفاً عند القارئ وتبقى اللفظة مع ذلك
خشنة مكروهة من ذلك قولهم اشمخر واسبطر وابذعر والحيزبون والنقاخ والدرديس والعطوس
ومئات غيرها من الالفاظ الشائعة بعانيها والمكروهة بالفاظها وما احسن ما قاله صفي الدين الحلي

انما الحيزبون والدرديسُ والطخا والنقاخ والعطيسُ
لغة تنفر المسامع منها حين تروى وتشمئذ النفوسُ
وقيحٌ ان يتبع النافر الوجه شئٌ منها ويترك المأنوسُ
انما هذه القلوب حديدٌ ورقيق الالفاظ مغناطيسُ

هذا وامثال الغريب النافر في ما انتهى اليها من اساطير السلف أكثر من ان يحصى ولا
يستعمله الآن الا من جفته الرقة وندت عنه سلامة الذوق

قال آخر . ان كان الامر كما نقول وجب ان تطرح جميع الالفاظ التي هي من هذا القبيل
وهي تقرب من ربع اوضاع اللغة او تزيد فلماذا وضعت اولاً ثم ما هي الغاية من حفظها اليوم ؟
قلت ان الالفاظ التي تسميها غريبة او نادرة او وحشية قد يعرض لها مواقع يعرفها اصحاب
الذوق فتقبل على ما فيها من العيوب . يجهل الذوق وينبوعها الطبع في عبارة لا تليق بها او
في سياق معنى لا يناسبها ثم يطرب لها هذا وذاك اذا وردت في المواقع التي تليق بها وهذا
لا يقتصر على الالفاظ الوحشية والغريبة بل يخطأها الى جميع الفاظ اللغة . تستحسن في محل

وتستهجن في آخر ولاجل الاستثناس نورد بعض الشواهد في هذا الوجه :

قال بشر يصف مصرح الاسد واجاد

نخرًا مضرًا بدمٍ كافي هدمت له بناءً مشمخرًا

اذ لا بأس باللفظة الوحشية اذا استعملت في وصف قتال الوحوش فهي هناك تصادف محلها وتنزل منزلها وما اكرهها في مواقف التأدب ومقامات الكمال والسلاسة مثلاً جاءت في كتاب لاحد المتفهبين "لازال نائلكم مسبطاً وسعدكم مشمخرًا" وهي غير لائقة في ما وردت من كلام الخطيب ابن نباتة "اقطروا وبالماء واشمخروا نكالها" ومن ذلك لفظة البعير في قول المتنبي

يا طفلة الكفت عبلة الساعد على البعير المقاد الواحد

زيدي اذى مهجتي ازدك هوى فاجهل الناس عاشق حاقد

فان البعير مع هذا المعنى الرقيق واللفظ الرشيق جعل عجز البيت الاول بعيراً وقد وقعت موقعها في قول العباس بن مرداس

لقد عظم البعير بغير لب ولم يستغن بالعظم البعير

واغلف من كل ذلك قول المتنبي في احدى عيون قصائده

لا تجزني بضئى في بعدها بقر تجزي دموعي مسكوباً بمسكوب

فان كنيته بالبقر عن الغيد الحسان يذكر القارىء بالبحول والثيران ومع ان الطبع قد مجها في هذا البيت فهو يطرب لها في بيته القائل

علي نحت القوافي من معادنها وما علي اذا لم تفهم البقر

ومنه ان بشاراً سمع قول كثير

الا انما ليلى عصا خيزرانة اذا غمزوها بالاكف تلين

فقال قاتل الله ابا صخر يزعم انها عصا ثم يزعم انها خيزرانة ولو قال عصا مخ او عصا زبد لكان قد هجن مع ذكر العصا هلاً قال كما قلت :

ودعجاء المحاجر من معد كأن حديثها ثمر الجنان

اذا قامت لحاجتها نشئت كأن قوامها من خيزران

وليس لفظ العصا مكروهاً بنفسه وانما الموقع جعلها كذلك وانظر ما الطنبا في قوله

اذا جاء موسى والقي العصا فقد بطل السحر والساحر

ومع ان بشاراً اظهر سلامة ذوقه في انتقاد بيت كثير نراه قد هجن اكثر منه في قوله

انما عظم سليبي حَبَّيْ قصب السكر لاعظم الجمل
واذا ادنيت منها بصلاً غلب المسك على ريح البصل
وهذا من عجيب التناقض انك كرهت البصل في بيت بشاراً ولست تكرهه في بيت ابن الوردي
انما الورد من الشوك ولا ينبت النرجس الا من بصل
ومن هذا الباب قول اسماء بنت عبد الله ترثي زوجها

ابكي عليك يا عروس الاعراس يا ثعلباً في بيته للاناس
انظر ما اقيح الثعلب للدلالة على الوداعة وهو احسن من الغزال اذا جاء في محله اللائق به
كقول محمود سامي باشا يصف كلب الصيد
يكاد يفوق البرق شداً اذا انبرت له بنت ماء او تعرض ثعلب
ومنه ايضاً قول ابن سناء الملك من قصيدة

صليبي وهذا الحسن باقي فربما يُعزَّل بيت الحسن منه وَيُكَنَسُ
فكتب اليه القاضي الفاضل يقول "القصيدة فائقة في حسنها بديعة في فنها الا ان بيت يعزَّل
ويكنس اردت ان اكنسه منها لان لفظة الكنس غير لائقة بمكانها" وهذا نقد صحيح لان
تصوُّر وضع المكنسة على الوجه الجميل قبيح ومكروه . وقد عبر المتنبي عن هذا المعنى بالطف
الكلام حيث قال

زودينا من حسن وجهك ما دامَ فحسن الوجه حال تحول
وصلينا نصلك في هذه الدنيا فان المقام فيها قليل
وقد المَّ به شكسبير شاعر الانكليز فهجَّن مثل هُجَّة ابن سناء الملك فقال بلسان فيس
تخاطب ادونيس : انتهز الفرصة ولا تدعها تُفَلت . الحسن لا يجوز ان يضع فالازهار التي لا
تجمع في اوقاتها تَعَفُّن وتَفني في زمن قليل "فهو يؤخذ على ذكر العفن في هذا المقام
ومما يذكر في هذا الباب قول محمود سامي باشا

نلين وان كنا اشداء للهوى ونغضب من شروى نقير فنشتد
اذ ان تعليق الغضب على مقدار شروى نقير مخالف للرزانة والتعقل ومع ان هذا المعنى جليل
نفيس فقد افسدته اللفظة وانظر ما احلاه واجله في قول الآخر

نبارز ابطال الوغى فنبيدهم وقتلنا في السلم لحظ الكواعب
وليست سهام الحرب تقني نفوسنا ولكن سهام فوقت بالحواسب
واحلى منه قول الآخر

نحن قومٌ تُذنبنا الاعين النجس — لُ على اننا نذيبُ الحديداً
وترانا لدى الكريمة احراً رآ وفي السلم للحسان عبيداً
ومما يجمل ذكره تحت هذا الفرع اقام اللفظة في مكان لا يصلح لها ولا تصلح له وذلك
ان كثيرين من المتسلقين على حرفة الادب تعلق في اذهانهم بعض الالفاظ التي يسمعونها من
المتضلعين ويحسبونها فصيحة وجديرة بالاستعمال فيخالون عليها في كلامهم وينصبون لها الاشراك
ليستنبطوا لها محلاً متقللاً في عباراتهم ويقحموها اليه ولو كانت ليست منه ولا هو منها . من
ذلك ما جرى بمسمع مني وهو ان واعظاً قرأ رسالة الحجاج الى المهلب التي يختمها بقوله
”والأأشرفت اليك صدر الرمح“ وجواب المهلب مخنوماً بقوله ”فان فعلت قلبت لك ظهر
المجن“ فاستحسن العبارتين وظن ان استعمالهما في الصلاة يثبت له طول الباع فوقف امام
الجماعة مصلياً وقال بعد الحمد ”اللهم اغفر لنا ذنوبنا الكثيرة فاننا قد اشرعنا اليك صدر الرمح
وقلبنا لك ظهر المجن“ فلا تعاملنا الا برحمتك الخ“ وهذا يشبه ما يحكى ان احدهم واسمه طنوس
رأى خاتم رجل اسمه حسن منقوشاً عليه ”ظني بالله حسن“ فراقته العبارة واحب ان يقلدها
فنقش على خاتم ”ظني بالله طنوس“. وتبوءة الالفاظ مراتب لا تليق بها كثير في ادبيات
العرب ونجد منها العشرات والمئات في المنقول عن فحول الشعراء واكابر الكتآب علي رسوخ
قدمهم في الانشاء وعلو كعبهم في الادب ووقوع مثل من ذكرنا في هذه المناقد يحقق لنا ان
الكمال صفة الهية لا قيل للبشر بها (ستأتي البقية) فارس الخوري

الانتحار الديني في روسيا

اذاعت الجرائد الاوربية منذ بضع سنوات ان في جنوبي روسيا شيعة دينية تفرض على
اعضاءها الانتحار . فتوجه الاستاذ سيجورسكي مدرس علم الامراض العقلية والعصبية في كلية
كيف بروسيا لتحقيق ما شاع وذاع عنها وكتب على اثر ذلك كتاباً عنوانه ”وبأ الموت
الاختياري والانتحار في مزارع ترنوبا“ نكتطف منه ما يأتي لما فيه من الفكاهة والغرابة ودواعي
الضحك والبكاء . قال

موطن هذه الشيعة وادي نهر دنستر الخصب في مزارع تحف بقرية ترنوبا التي تخص عائلة
كوفالوف . وكانت هذه العائلة من المنشقين . ولها مزرعة فيها بناء اتخذ المنشقون ملجأ
يلجأ اليه كل من كان منهم مريضاً او على سفر او عاجزاً او مضطهداً منذ نحو قرن . وظاهر

من هيئة بنائه ان سكانه طلبوا الاختفاء فيه خوفاً على انفسهم من الاضطهاد ففتحو له المداخل والمخارج الى جميع الجهات تسميلاً للهرب عند احداق الخطر. وهم لا يخرجون منه الا منفردين وخروجهم يكون ليلاً. وليس لهم ما يعملون سوى اقامة الصلوات وقراءة الكتب والتحدث بالاحاديث الدينية

وفي خريف سنة ١٨٩٦ اخذ منهم الهياج مأخذه لسبب غير معروف وكانت امرأة اسمها مادام كوفالوف رئيسة على المزرعة حينئذ وامرأة اخرى اسمها فيتاليا رئيسة على البناء اما الاولى فكانت متقدمة في السن ساذجة محسنة. واما الثانية فكانت شديدة الهمة كثيرة الزهد. كانت تقرأ الكتب الدينية وتحدث هي وبعض اصحابها عن الاضطهاد والحروب والخدمة العسكرية الالزامية ونهاية العالم ومما كانت تقول ان المشيقين سينفون او يسجنون. فتم الاتفاق بين اعضاء هذه الجماعة انهم اذا سجنوا ينقطعون عن الاكل ويلبسون بالصيام حتى يموتوا جوعاً. ولكن خطر بياهم امر اولادهم وزادت هواجسهم حينما اخذوا يفكرون في مصيرهم بعد موتهم واستولى عليهم القلق واليأس عندما جعلوا يفكرون ان الحكومة تكرههم على العمودية في كنيسة

وبعد عيد الميلاد شاع ان الحكومة ستشرع في احصاء الاهالي وكتابة اسمائهم وجمع الشبان للخدمة العسكرية فقالت فيتاليا ان الحرب قريبة وان المسيح الدجال سيظهر وان الاككتاب المذكور ختم الدجال فخير لهم ان يموتوا بالجوع الاختياري وينجوا من جميع هذه الاضطهادات والخواف. فاقترحت بنت عمرها ثلاث عشرة سنة ان يختار الدفن على غيره من وسائل الموت وانما اقترحت ذلك بايعاز من فيتاليا وقالت انهم في السجن يعذبوننا ويقتلوننا فخير لنا ان ندفن احياء. فاستحسنتم امها ذلك واستحسنته ايضاً كنه ما دام كوفالوف وضمت طفلها الى صدرها وقالت اني لا استطيع تركه للهلاك بل افضل انزاله معي الى القبر. الا ان زوجها واسمه تيودور كوفالوف خالف الجميع في هذا الرأي. وكانت فيتاليا تقول انه بقدر ما في المطر من القطرات كذلك في جهنم من العذاب لغير المؤمنين. اما المؤمنون فيقاسون العذاب يومين او ثلاثة في قبورهم ثم يدخلون السناء

وكان بعض اعضاء هذه الشيعة يخافون الرب في امر الانتحار. ولكنهم عدوا الموت الاختياري شيئاً آخر. فان تاريخ اسلافهم واجدادهم مملوء باخبار الموت حرقاً وغرقاً ودفناً وكانوا احياناً يقدمون على الموت جماعات لينجوا من الاضطهاد واكره الحكومة لهم على حفظ قوانينها واحكامها. فلما وقف رجال الاحصاء بباب مسكنهم دفعوا اليهم ورقة فيها ما يأتي

نحن مسيحيون ولا يؤذن لنا ان نقبس بدعاً جديدة ولا نرضى بكتابة اسمائنا ومساكننا
المرّة بعد المرّة

وليلة الثالث والعشرين من ديسمبر أقيمت الصلوات ولبس الذين يستعدون للدفن ثياب
الموت المخصصة بشيعتهم ودخلوا القبر وهم تسعة رجل عمره ٤٥ سنة وامرأته وعمرها ٤٠ وابنته
وعمرها ١٣ وزوجة ثيودور كوفالف وعمرها ٢٢ وولدان لها عمر الواحد ٣ سنوات والآ خر طفل
رضيع . وامرأة عمرها ٣٥ وشيخ عمره ٧٠ . ثم تقدّم الرجل المذكور أولاً ووقف بباب القبر من
داخل ووقف ثيودور كوفالف ببابه من الخارج وسدّاه بالحجارة والتراب وهو قبو ضيق طوله
١٢ قدماً وعرضه كذلك وارتفاعه من وسطه خمس اقدام ونصف قدم . وكان مع المدفونين
شموع وكتب دينية وصور قديسين

وجرى الدفن الثاني ليلة ٢٧ ديسمبر في حفرة تبعد ميلاً عن المدفن الاول . فحفرت حفرة
اخرى في احدى زوايا الحفرة الكبيرة ودفن فيها ستة اشخاص بينهم ثلاثة اولاد عمر الواحد ٧
سنوات والثاني اربع والثالث اثنتان . واختلف رجل وامرأته في الحاق بهم فاخذ ابنته وعمرها
سنتان ودخل الحفرة بها ليدفنها معه

وفي الخامس من فبراير قبضت الحكومة على فيتاليا وستة اشخاص آخرين لانهم رفضوا
الخنوع لقوانين الاحصاء والاكتتاب وادعتهم السجن فابوا ان يأكلوا او يشربوا قائلين ان
دينهم يطلب منهم تحصيل عيشهم بعرق جبينهم . واستمروا كذلك اربعة ايام ولم تطلق
الحكومة سراهم لظلوا كذلك حتى ماتوا جوعاً

وليلة ١٢ فبراير جرى الدفن الثالث وكان المدفونون اربع نساء وقد توسلن الى ثيودور
المذكور ان يحفر القبر لهن فاجابهن الى ما طلبن وانزل اخته الى القبر ايضاً لان ما الم بها من
الضعف اثر السجن اضعفها عن النزول وحدها . ثم شرع يهيل التراب على اقدامهن أولاً ثم
ابدانهن فزوّسن وجعل يدوسه بقدميه . وقال فيما بعد انه لم يسمع صراخ استغاثة منهن
وهو يدفنهن

ولما تمّ الدفن الثالث حزنت ما دام كوفالف على ما جرى وخامرتها الريب والشكوك
وشعرت بجسامة عملها واما فيتاليا فشعرت انه يجب ان تموت هي ايضاً بمجدة وكانت تهتم باقناع
مادام كوفالف ان تموت معها وتحشى صور الموت واشكالها كلها ما عدا الموت جوعاً . فعينت
يوم ٢١ فبراير لتدفن فيه ثم آخر الدفن الى ٢٨ فبراير . فحفر ثيودور واخوه ديمتري مدفنًا لها
وللذين عزموا على الموت معها وهم مادام كوفالف وابنها ديمتري حافر القبر لنفسه والباحث عن

حنفه بظلفه وفيتاليا وصديقان حميان لها ثم سدَّ القبر فتمَّ الدفن الرابع وبلغ به مجموع الذين دفنوا ٢٥ نفساً

ويظهر مما تقدم ان لثيودور كوفالف اليد الطولى في ما جرى فانه دفن امرأته واولاده واخنة وامه واخاه يديه عملاً بامر فيتاليا وكانت قد اوصته قبل دفنها ان لا ياكل ولا يشرب بل ينتظر انقضاء العالم بعد يوم او يومين فعمل بالوصية اربعة ايام ولكنه لما رأى انه لم تقم حرب ولا جاءه احد ليقبضه الى السجن ولا انقضى العالم خالف الوصية واكل ولما انتشر خبر ما جرى وسئل عنه قال انهم لم يكونوا يظنون انهم يخطئون في طاعة فيتاليا لانها كانت تصوم وتصلي وتقرأ الكتب الدينية وسأل قائلاً لم يهدنا احد الى طريق الحق والصواب فيرى القارئ من حكاية هذه الشيعة ان الانتحار ليس من مبادئها الدينية كما شاع وان العلاقة الدينية به ضعيفة . بل ان عملها هذا تقليدي سببه معيشتها في العزلة والانفراد والجهل المطبق فنشأ أعضاؤها كثريري المخاوف والالهام فقادهم جهلهم الى اتباع طرق غريبة لمقاومة الاعداء والاختار الوهمية وهذا كله يقود الى التعصب الديني في افطع حالاته . واذا انقاد رجل بضعف ارادته وتسليمه الاعمى ليكون آلة صماء في ايدي الذين بلغ بهم تعصبهم درجة الجنون فلا عجب اذا فعل ما هو اغرب من ذلك

عروسة النيل

الفصل الثاني والعشرون

لم تكن توبة كاترينا خالصة فإن الغيرة اعمت بصيرتها وحرقت فؤادها فاصبحت يتنازعها عامل الحب والكراهية ويعبثان بها فتارة تحن الى لقاء بولين وتارة تصد عنها وراجعت ما دار بينهما من الحديث في البستان فعدت سكوت بولين حينئذ واجوبتها الموجزة دليلاً على توثيق عرى الوداد والحب بينها وبين اوريون فارادت تحقيق الامر بنفسها بحيث لا يبقى ثمة مجال للريب وكان لها منذ الطفولية حليف في جميع اعمالها وصديق تعتمد في قضاء مهماتها وهو انويس اخوها في الرضاع وابن مرضعها وكان هذا النقي شيطناً مجتهداً فاقام مع والدته في بيت سوسنة الارملة حتى شبَّ فدبرت له هذه عملاً في ادارة خزينة المقوقس وكان شغفاً بتربية حمام الزاجل يستخدمه في نقل الرسائل فاذنوا له ان يقيم برجاً للحمام على سطح الخزينة وكانت ماري وكاترينا نكتاتبان والحمام ينقل مكاتبيهما فلما مرضت الاولى انقطعت المكاتبة بينهما

وفي صباح احد الايام بعث انويس ينبئها بانهم سيدفعون الى باولين ما لها وان اوريون سيذهب بنفسه اليها لهذا الغرض فرأت ان تنتمز الفرصة للوقوف على ما يدور بينهما عليها تستدل به على حقيقة امرها وافترت على خطة معينة واتخذت التدابير لمعرفة ساعة ذهابه اليها وفي الصباح التالي جاء خادمها برقعة نقلها الحمام فاذا بها من انويس يخبرها بقرب خروج اوريون في مهمته

فشق على كاترينا ان يكون ذهابه في تلك الساعة لأن بنيامين بطيريك الاسكندرية جاء الى الفسطاط وعزم على زيارة منف ذلك النهار وكانت والدتها قد دعته الى الغداء في بيتها تبركا فقبل الدعوة وانهمك اهل البيت في اعداد الوليمة وتنيق المنزل وزينته احفاء بالزائر الكريم اما كاترينا فامرتهما انها بتري انخر حلالها وبلازمة غرفتها الى ساعة وصول البطيريك فتنزل لاستقباله حاملة باقة من الازهار فاسرعت الى غرفتها وقالت في نفسها "من الآن للظهر ساعتان فاذا جاء اوريون الى بيت روفينس ولبث هناك نصف ساعة تمكنت من رؤيته واستطلاع امرها وعدت فارتديت ثيابي وقابلت البطيريك" فاحتذت حذاء مطرزا وامرت خادمتيها بانتظارها الى ان تعود ثم غادرتهمما وذهبت الى مرتفع في البستان يشرف على بيت روفينس ولم يطل بها المقام حتى ابصرت اوريون قادما في مركبة امامه فوقفت المركبة امام مدخل البيت فتزجل وتبعه خازنه ثم رأت العبيد يخرجون من المركبة اكياسا كثيرة ثقيلة وكان اوريون وحده قباله ناظرها فلم تكثرث للباقيين ولم تحفل باكياس الذهب وبدا لها ابن المقوقس في ثوب الحداد كاجمل ما رآته ولما خطر ببالها ان هذا الفتى الجميل احبها وقبلها وكاد يكون زوجها حتى سلبتها اياه اخرى ملاء الوجد فوادها واشتد بها الحنين اليه وغلت بالبغضاء في صدرها فجلست لتأمله حتى غاب في البيت وقد قن جماله لها واطار الجوى صوابها فهمت بلحافه لتطرح نفسها بينه وبين باولين وتفصلهما فلا يلتقيان

واشتد الهجير فقصفت ورقة كبيرة ووضعتها على رأسها انقاء الحر ولم تأت بمظلة لئلا يعلم مكانها ولما طال بها المقام وخشيت ان ياتي البطيريك فيفاجئها على غير استعداد هرعت الى غرفتها وامرت خادمتيها بالاسراع في لباسها ثم طلبت الى احدهما ان تعد باقة من الورود فتضعها في الغرفة الى ساعة ياتي البطيريك وعادت الى مكنتها وفي يدها بعض حلالها لتلبسها هناك ولم تكد تصل الى المرتفع حتى رأت نيلس خارجا من البيت وامامه العبيد يحملون الاكياس فيضعونها في المركبة فقالت في نفسها فهمت الآن فقد ردت اموالها اليه وكفته العناية بها وعادت المياه الى مجاريها ثم صرفت باسنانها ووقفت ترقب ما يتلو فنظرت احد خدم قصر الوالي

يقود جواد اوريون الادم فوقف به امام المنزل وحينئذ خرجت باولين الى البستان وتبعها اوريون وقد صبغ الدم وجهه وبدا الفرح في عينيه وهو ينظر الى باولين نظرة المشوق المقتون فودت كاترينا لو انها افعى فتلسعهما وتحق سعادتهما وسرورهما . وتماشى الاثنان في البستان حتى صارا على مقربة منها فاكبت تسترق السمع وتصغي الى ما يدور بينهما من الكلام فسمعت اوريون يقول — غمرتني بفضلك حتى اراني استحي ان اطلب منك معروفاً آخر ولكنك تعلمين ثقل الضربة التي اصابتي بفضل ماري وتعرفين ان ما حدا بها الى عملها هذا انما كان حسن طويتها وصفاً نيتها وشدة ميلها اليك

— وتريد ان اعني بها الآن فعلى الرحب والسعة بشرط ان تأقي بها الى هذا البيت فاني لن ادخل بيتكم ابداً

— ولكن مرضها يحول دون نقلها وقد اهملتها امي اهمالاً اثر في اعماق قلبها

— وكيف تستطيع امك ان تسيء الى حبيبته

— لا اراك تجهلين شدة حباي لقد هدمته ركنها ومحق سعادتها فلا تقع عينها على ماري الا ويخطر ببالها ذلك المنظر الرهيب الذي تجلّى امامها قبل وفاته فترى في البنت العيسة علة شقاء البيت

— اذا ارسلها الي فستلقى من عناية اهل هذا البيت بها ما يشفيها

— شكراً لك وساطلب الى امي لتأذن لنا في ذلك فماري وحيدة الآن بعد ان حضرت

سوسنة على ابنتها زيارتنا ثم دار الحديث على كاترينا وماري فقالت باولين ومن الغريب ان كاترينا على صغر سنها وخفة روحها قد تبدلت في هذين اليومين فصارت رضية الخلق كريمة العواطف وعندي ان ما اصابها التي حملاً ثقيلاً على عائقها

— ولكن حزنها لا يطول فهي بالفترة مملوءة نشاطاً وخفة ويلوح لي ان اكبر اوزاري في

ذلك اليوم المشوم ظهري امامها بمظهر الحب العاشق ولا ارى لي عذراً بهرئي من هذا الذنب سوى انني فعلت ما فعلت اكراماً لامي وحسبي ما قلت في هذا الشأن وما اصابني من جرائه امأ اليوم فساجري في سبيل الحياة حثيثاً والى يميني المرأة التي تحبني والتي ستكون زوجتي ولما قال ذلك دارا في جهة اخرى وابتعدا عن كاترينا امأ هذه فعلت من حديثهما ما ارادت الوقوف عليه وادركت ان ما تحشاه وقع وان اوريون لا يعاب بها فاخذت ترتجف واحست بثقل في قلبها وغلت في صدرها الغيرة والغليظ فتمنت الموت ثم عزمتم على العودة الى البيت فاذا بالحبيبتين عائدتان قتربت مكانها لعلها تسمع بعض حديثهما

الفصل الثالث والعشرون

كانت الغاية من مجيء اوريون ونيلس الى بيت روفينس البحث عن الخطة المثلى للتصرف باموال باولين فبعد ان عقدت الجلسة واقروا على خطة انصرف الخازن بالمال وانفرد اوريون بنسبته وفي فؤاد كل منهما ما فيه من الوجد والهيام ولما صارا وحدهما خروا اوريون على ركبتيه وطلب مغفرتها فذكرته بكتابه وبوعده الذي وعد لكن قلبها ابي ان يطيعها وتحركت عوامل الحب في صدرها واذا ارادت كتم ما بها لجأت الى الحديث فسألته عما يعني برده الوديعة الثمينة التي اشار اليها في عرض رسالته فنفض وابرز من جيبه حقاً صغيراً وفتحهُ واخرج منه زمردة ثم ناولها اياها وقال

— هذه زمردتك تخذيها وهبيني صفحك وثقتك بي عوضاً منها . فلما رأت الزمردة اجفلت وبدت الدهشة والسرور في وجهها وانبعث الفرح من عينيها وظلت كذلك بضع دقائق ثم تناولت الزمردة وقالت

— ان الزمردة في يدي الآن فاحذرايها الغي
— لا مكان للحذر فهذه ليست هبة مني ولكنها زمردتك اعدتها اليك وقد صدقت فيما قلته فاني والزمردة في يديك تخذيها واحفظيها الى يوم تصير مصلحتنا واحدة
— لمصلحتك المقام الاول عندي حفظاً لولاء ابيك فقد جلبت عليك لعنته وصار من واجباتي اسعافك على التملص من ثقل تلك اللعنة فاذا اصغيت الى نصيحتي فقد استطيع ان افعل ذلك

— بربك قولي ما تشائين

— فقالت الى البستان فهؤلاء هذه الغرفة يكاد يخنقني . ثم مشت فتبعها وهي تعيد على مسامحة ما قاله فيلبس ثم قالت ان الحياة عمل وواجب يجب ان تقوم بها . فقال انها لكذلك وسألتخذ هذا القول شعاراً لي بعد ان فئت به . ان الحكم والامثال لا تجعل المرء حكيماً وقد تلقينا شيئاً كثيراً منها في المدارس ولكن لا فائدة منها اذا لم نقترب بعزم شديد وسعي اكيد توصلاً الى الغاية منها اما انا فعزمي سيبلغ بي الى الغرض المطلوب فاني ارى كوكباً لامعاً يقودني اليها
— حبك هو الكوكب وسائق به

— اتقنين اتبعثين بي بعض الامل

— نعم وسارى فيك انت عدوي ومضطهدي خير الاصدقاء واعزم الى قلبي
ثم عاودا المشي فاخبرها انه ذاهب في الغد الى القسطنطينية ليلقي عمراً واحداً يشرح لها الخطة

التي رسمها لنفسه ووصف ما ينوي فعله من بذل قواه في خير بلاده سواء كان في خدمة الخليفة او منقطعاً الى اعماله وشؤونه الخاصة. وسألته بولوين عما صار اليه امر الزمردة التي انتزعها من القطيف فحاول ان يخفي الحقيقة عنها ولكنه لم يلبث ان افاق من ذهوله فصاح — لقد كذبتُ في ما قلته فاني ارسلت ذلك الحجر الكريم الى القسطنطينية لاصوغه حلية لفتاة اخرى كنت اميل اليها علي اني لم افقه معنى الحب حتى رأيتك — فقالت ليح ذكر ذلك اليوم المشوم من اذهاننا ولما قالت هذا ودعها وانصرف اما كاترينا فتربصت مكانها حتى خرج وحينئذ سمعت من يدعوها باسمها فنهضت ومرت بولوين بنظرة كالمسهم فلما صارت الى البيت وبجتها امها علي غياها وعدم استعدادها لمقابلة البطيريك فبكت من القهر ثم قالت لا استطيع مقابلته فاني اكاد اموت من وجع الراس وسألزم غرفتي لعل استريح

الفصل الرابع والعشرون

وبعد ظهر الغد امتطى اوريون خير جياده وعبر الكبري « الجسر » الى الفسطاط يطلب لقاء عمرو فصار علي مهل وهو يعجب لما طراً علي تلك البقاع من التبديل والتغيير فبعد ان كانت حقولاً ومزارع اصبت مدينة كبيرة فيها البيوت والجوامع والمخازن وجميعها علي الزي العربي كأنما هي جزء من بلاد العرب نقولهُ الى مصر فصار في الشوارع الغاصة بالباعه والتجار والعمال حتى وصل الى بيت عمرو فقيل له ان القائد خرج الى الصيد وأنه سيستقبلهُ في الحصن وكان هذا الحصن قائماً علي هضبة يشرف علي الفسطاط والنيل والسهل فصعد اليه وسأل عن عمرو فأنبأهُ بأنه لا يعود قبل العتمة ثم دعاه البواب الى الجلوس في رواق مفروش بالرخام فاستاء لهذه المعاملة ورأى فيها حطة من قدره بعد ان كان القوم يحنفون به كالامراء فشق عليه ان يكون كعامة الناس وكاد يكشف امره للبواب لكنه احجم وجلس في مكانه واخذ يتأمل ما امامهُ من المناظر فأكبر خصب البلاد وجودة تربتها واخذ يردد في خاطره ما قالهُ شاعر اليونان في النيل وما تمتأه قيصر من اكتشاف منابع ذلك النهر العظيم مصدر حياة مصر التي كانت تحسب اهراء رومية والقسطنطينية ايام عزها وسؤددها . وطفق ينظر في الوسائل التي تمكنهُ من اعادة البلاد الى سابق مجدها وعظمتها وترد لاهلها السلطة التي خسروها والاستقلال الذي لا بد منه للنمو والتقدم وبينما هو غارق في افكاره سمع وقع اقدام ورأى الغلمان يحملون المصابيح وهم يدنون اليه فظن انهم اتوا يدعونه الى سيدهم لكنه لم يلبث ان رأى عمرأ وراءهم وقد جاء ليرحب بضيفه الكريم وبعد ان حياه اعنذر اليه عن ابطائه في

العودة وشدد النكير على الخدم لأنه لم يفتحوا له إحدى المقاصير ثم اخذ يحدث اوريون عما اصاب في يومه من الصيد وقال جرحته اسداً فلم يقتله وقد فر في الادغال فلم نعثر به على اني سأطلبه حتى اجدته وكان كلامه باليونانية تعلمها ايام كان شيخاً للقوافل العربية التي كانت تأتي الى الاسكندرية . ثم دعاه الى البيت وهو ببالغ في اكرامه والترحيب به حتى بلغا الغرفة فالفيا السباط ممدوداً فدعا عمرو واوريون للاكل وجلس الاثنان ومعهما عبادة وكيل عمرو وهو جبار اسود فقال عمرو هذا عبادة وكيلي ولما كان لا يعرف اليونانية فسأترجم بينهما . ومن خبر عبادة هذا انه ولد عبداً فاتصل بهمته وشجاعته ودعائه الى مقامه الرفيع . فاخذ اوريون يتأمله وقد اعترته الدهشة اما هو فكان مطرق الرأس الا اذا اراد الكلام فيخاطب عمرًا ويحدث اوريون بنظرات ملؤها الكراهة

وبالغ عمرو في ملاطفة ضيفه فسأله عن مقامه في القسطنطينية وعما حدث له فيها فاندفع اوريون يشرح له ذلك بالتفصيل فالتفت عبادة الى عمرو وقال

— عجبت لك تأذن لهذا الثثرة ان يقلقنا باحاديثه الفارغة ولا تفتاحه بشأن

ما دعوته لاجله

فاجابه عمرو اخطأت فالمرء يكون على احسن ما هو عليه اذا انفسح له مجال الكلام وكان

امامه من يصغي الى حديثه ولحديث هذا الفتى طلاوة وفائدة ثم دار الى اوريون وقال

— اتاني البطريك اليوم فرأيت منه كرهاً لا ليك فاسبب هذا العداء . فشرع اوريون

يحدثه بالاسباب التي دفعت البطريك الى المجاهرة بتلك البغضاء وقال ان بنيامين يريد ان

يتبرأ في عيون النصرانية من تهمة تسليمه بلاد نصرانية الى العرب المسلمين فلم ير خيراً من

الصاق التهمة بابي

فاجاب عمرو . فهمت ما نقول وعاد اوريون فاخبره ان كيل العدوان طمح يوم اراد

البطريك ان يضع يده على دير الراهبات ويوقع بهن طمعاً بمقتنياته مستنداً الى تأويل بعض

العبارات الواردة في صكوك الدير مع ان العبارات المذكورة في غاية من الجلاء والوضوح

فاعترضه ابي وكفّ اذاه عن الدير . وحينئذ تبادل عمرو وعبادة النظرات وقال الاول

— وانت اقتريد ان تستسلم للبطريك وتنسى الاهانة التي اهانك بها بعد وفاة ابيك

— كلا

— وانّي تستطيع ردّ كيدك في نحره وانت نصراني وفي يده سعادة روحك وشقاؤها

فاطرق اوريون وقال ذلك ما اجهله فقد عمرو يده وقبض على ذراعه وقال

— ولا اراك مدركه وهبك احزرت الوسائط المطلوبة فلا قبل لك بالانتفاع بها واعلم ان ابداء المرأة والطير المحلقة في الجو لاسهل من ابداء رجال الدين فاحذر واذا شئت ان تثار اباك دلتك على وسيلة تبلك امينتك على اسهل سبيل . فصاح اوريون — وما هي

— فقال عمرو كن واحداً منا

— فقال اوريون ولكنني منكم وهذا ما جئت لاجله فسيني ومالي رهن اشارة حكام بلادي اعني بهم انت ومولاي الخليفة

فقال عمرو احسنت فلا اله الا الله فالحكم الهنا وليس من يستطيع ان ينكر ان نبينا صلى الله عليه وسلم جاء بالهدى ودين الحق وكان خاتمة النبيين الا الذين ختم الله على قلوبهم فقد اعترف ابوك

— ابي

— اعترف باننا اكثر غيرة وحمية واشد ايماناً وايقاناً بديننا من قومك فاذا اسلمت فلن يستطيع البطريق مسك بسوء على الارض ولا نزع سعادتك ونعيم ابيك في الجنة فهات يدك . اما اوريون فشخصت عيناه واعتراه ذهول فقال

— ايها القائد العظيم ليس هذا مغزى كلامي فاشرف الاعمال عندي واعظمها قدراً في عيني خدمة الخليفة ولكني لا استطيع جحد ايماني

— اذا فسيدوسك البطريق . قال هذا والتفت الى عبادة واخذ يكلمه بالعربية فقال اوريون

— بريك يا مولاي اصغ الى ما اقول . ان اسلامي يعود علي بفوائد حجة على ان الثبات في الدين الذي ستطالبي به يوم اعتنق الاسلام يمنعني عن ترك دين اسلافي — حتى يجبرك الكهنة على تركه

فقال اوريون من يجبرني نعم ان البطريق عدوي الاله لكنني فقدت ابي واؤمن بلقائه في الآخرة

فقال عمرو وانا اعتنق بالخلود ايضاً فان في الآخرة جنة واحدة وجميعاً واحداً كما ان في الكون الهماً واحداً فقط

وكان عبادة اثناء الحديث بهزاً باوريون حتى اثار ثائر غيظه فدار عمرو اليه ووجهه على مخبرته فشأ بينهما جدال طويل ورأى اوريون ان يكتم ما به لخرج الموقف واحسّ عمرو بما كان يخالجه فواده فالتفت اليه وقال

— ان عبادة حكيم وقد اثار كلامه في بعض الشبهة فان نصرانياً في مقامك وسنك لا يأبى المجد والسعادة في الدنيا طمعاً بسعادة موهومة في جنته في الآخرة فاذا ابى واطرح المجد والغنى ونزع من قلبه حب النزوع الى العلاء واخذ الثأر فلا بد من سبب وراء الائمة فهدي روعك وثق انني اهتم بك واحميك من كل ضرر اذا اعربت عما يخامرك وبحت بعلّة ابائك وايقن ان سرّك سيبقى مدفوناً في صدري فلا يذاع فانا اكبر منك سنّاً واكثر منك خبرة باحوال هذا الدهر وقد كنت صديقاً لا ييك من قبلك

فقال اوريون لا افوه بكلمة امام هذا الرجل فقد سمعتك تقول انه لا يفهم اليونانية ولكني رأيته يتلقف كل لفظة انطق بها وقد حملته جرأته على الهزء بي

فقال عمرو انه وكيلى وهو بطل باسل امين فاذا صرت منا صارت طاعنه واجبة عليك واعلم يا فتى انني دعوتك لالتي عليك شروطاً لا لاتلقاها منك وقد اذنت لك في الدخول الى هنا فلا تنس اني نائب الخليفة مولاك ومولاي

فقال اوريون . اذا فائذن لي في الانصراف فان قلبي وشفتي مخنوم عليهما في حضرة هذا الرجل وقلبي يتحدثني بانه عدوي

فقال عمرو . احذر ان يصير كذلك . فخيأ اوريون يريد الانصراف ولم يخف على عمرو ما فعل عبادة واحس بما يدور في خلد الفتى فانقلب من الشدة الى اللين والحل عليه في البقاء وقضاء الليل في منزله فشكره واستأذن في الانصراف وخرج فبعه عمرو حتى اذا صارا بميث لا يسمعهما عبادة قبض على يد اوريون وقال

— احذر هذا الرجل فلم يفتني انك سبرت غوره وعجمت عوده فابديت شجاعة وطيشاً اما انا فاتمنى لك الخير

— اني موقن بذلك واما الآن وقد صرنا وحدنا فاعلم يا مولاي ان ابى قبل ان اسلم الروح غضب عليّ واني ان يمنحني بركته الابوية . قال هذا وشرق بريقه ثم استطرد الكلام فقال وقد فعل ذلك لذنب اقترفته دفعني الى ارتكابه نزع الشبهة فلما مات فكرت في حياتي فالفيتها لا فائدة منها فجئت اليك على امل ان يفتح امامي باب يوصلني الى الاعمال العظيمة التي اتمنى ان اقوم بها . فقاطعه عمرو وقال

— ستجد مني عوناً لك على نيل بغيتك وقد ذكرتني طلعتك يا فتى بابن لي ضلّ وكفر عن ضلاله بسفك دمه فمات شهيداً في ساحة الوغى فعُد الآن الى بيتك وسالقاك بعدها انما احذر هذا الرجل فهو ناقد منك واذا لقيته فاخضع من كبريائك . فودعه اوريون بعد ان شكره

وانصرف في سبيله وعاد عمرو الى مخدعه ورفع الستارة فاذا عبادة وراءها على قيد بضع اذرع فتميز غيظاً وقال

— اتسترق السمع فيالك من رجل عجيب بطل شديد البأس في الوغى وحكيم داهية في المشورة واسد حردان في جسم انسان فاذا كر مقامك وما صرت اليه ولا تعد فترتكب من الافعال المغايرة ما يذكركني باصلاك الوضع الذي رفعتك منه فقد اسأت الى ذاك الفتى

— اهذا جزاء الخدمة الصادقة وهذا ما يقوله المسلم لاختيه لاجل كافر

— لقد نلت اضعاف ما تستحق جزاء خدمتك وقد اتخذتك وكيلاً لي لدهائك وشدة بأسك ولم افعل ذلك الا تأييداً لصولة الاسلام وعلام تكره هذا الفتى ولم يمسك بسوء فانت ترى فيه مقوقساً آخر وتأبى الا ان تكون ذلك المقوقس

— وهل عليّ في ذلك من حرج فانا بعدك احكم القوم واعقابهم واشدهم نجدة

— صحيح ما قلت ولكن عمل المقوقس لا يتولاه سوى مصري قبطي فالفطنة تقضي بذلك وهو امر الخليفة

— وهل امر الخليفة ان تظل اموال هذا الفتى الطائلة في يده

— لقد عرفت سرّك الآن فقد راقك ما عند المقوقس من المال وما له من العقارات والمقتنيات والعييد والاماء واخيل الصوص نحن يا عبادة اوليس من الحرام ان نستهي ما لغيرنا — فمن استخرج الكنوز الخبأة تحت فسقية بطرس القبطي وقتله

— انا — على اني فعلت ذلك لا بعث المال الى المدينة وكان بطرس قد خبأها قبل ان قتلناه اما المقوقس وابنه فاعترفا بجميع ما عندهما الى آخر دينار ودفعا الجزية عنه تماماً فمقتنياتهما لهما لا ينازعهما فيها منازع ولن تفوز بدرهم منها فدفع ابن المقوقس وشأنه ولا تخرجني وانصرف الآن وهي ما ترتأيه في قسمة العقارات فتشرحه غداً في المجلس فاذا استحسنته عملت به . ولما قال ذلك انصرف وبقي عبادة وحده يحرق الارم حتى دخل العبيد فرفعوا فضلات الطعام

الفصل الخامس والعشرون

خرج اوريون من الفسطاط وهو يثني على عمرو بن العاص وينظر بينه وبين امراء الروم فاكبر ما بين الفريقين من الفروق التي كانت علة انتصار المسلمين على حكام مصر وتمثل له عمرو بكرم اخلاقه وحده ذهنه وانفته وشهامته كتمثال من تماثيل اليونان الجميلة . وبدا امراء الروم لعينيه كتماثيل اقزام مشوهة وضعوها الى جانب ذاك فظهر الطباق بينها على امه وكان الليل مقمرًا والنسيم بليلاً والنهر كصدرة من زرد الفضة فشرح ذلك المنظر صدره

وعاودته احلامه وتغنى لو يفسح له مجال العمل فيبدي همته وعزمه ويظهر للملا قاطبة ما بين جنبيه من الاخلاق الطيبة والصفات الحسنة وكأن فرحه اطار النوم من عينيه فتنى رأس جواده الى بيت روفينس ولما دنا منه رأى نوراً في احدى غرف الطبقة العليا ولم يكن يعلم مكان غرفة باولين من البيت فوقف ينظر الى النافذة المفتوحة فابصر امرأة فتعرفها فاذا بها المرضع اظلت بعد ان سمعت وقع الحوافر لعلها تعرف من القادم وبينما اوريون واقف ابصر رجلاً في الغرفة فاستغرب ذلك وحقق ببصرته الى الرجل فاذا هو فيلبس فخشي ان تكون باولين مريضة وان الطبيب والمرضع معها يداويانها على انه لم يلبث ان رأى باولين نفسها تدنو من الطبيب وقد مدت ذراعها اليه فوقع اوريون في حيرة شديدة وتنازعه القلق والغيرة فقد كان يعلم ان الطبيب صديق حميم لحبيته لكنه خشي ان الصداقة تحولت حباً واخذ يعيد لنفسه بعض ما شاهده من امارات الحب في فيلبس فشق عليه ان يخسر باولين واخذ يعلل نفسه بان وجود فيلبس معها في تلك الساعة يمكن تأويله لكن الغيرة ملأت فؤاده وسدّى حاول نزاعها فلم يستطع ذلك فلكر جواده لكره عنيفة فطار به حتى كاد يسقط عن ظهره وبعد ساعة عاد نحو بيته فالتى السائس بانتظاره فدفع اليه زمام الجواد وترجل فشى على مهل وفيما هو كذلك ابصر فيلبس عائداً من بيت روفينس وهو يتنهّد من كبد حرّى فجاوز اوريون كانه لم يره ثم دخل الى احد البيوت المجاورة وعقب دخوله نوح وعويل في البيت فعلم اوريون ان عيلاً فيه مات وعاد فيلبس فخرج من البيت وسار يتعثّر كالنشوان الى بيته وهو قصر قديم كانت فيه نظارة مالية مصر فلما دوح العرب البلاد نقلوا المالية الى الفسطاط والحقوا اعمال منف المالية بادارة خزينة المقوقس ففرغ القصر ورأى مجلس منف ان ينتفع برعيه فاجروه وكان في من استأجره فيلبس ومريه ابولون الشيخ فلما دخل فيلبس تلك الليلة وجد ابولون امام مائدة عليها كثير من الرقاق والطروس والدفاتر وهو ينظر فيها فجاءه وجلس صامتاً فالتفت اليه ابولون فقرأ في وجهه ما دله على اضطرابه وحزنه فعاود العمل كانه لم يحفل بما رآه

ومن خبر هذا الشيخ انه ولد في جزيرة انس الوجود بجوار هيكل ايسس الفخيم حيث ظلت عبادة الاصنام شائعة الى ما بعد مولده رغمًا عن اوامر الامبراطرة القاضية بمنعها وظالما سبوا الجيوش لقتال الوثنيين هناك فلم تثبت جنودهم امام قبائل البدو التي كانت تدين بعبادة ايسس منتشرة بين النيل والبحر الاحمر وكان والد ابولون هذا من كهنة ذلك الهيكل فشب الفتى على دين آباءه حتى دهمتهم حملة من جيش الروم فاصابت منهم وشئت شملهم ومزقتهم كل ممزق وغنمت الهيكل واحملت الجزيرة فلم ينبج سوى بعض الكهنة وبينهم اهل بيت ابولون فقر هؤلاء

الى انطاكية ولم يطل مقامهم فيها حتى اوعز مطرانها صدر الوالى عليهم فارسل اليهم الجند فاعقلهم الا ابولون واباه فانهما فرّا وحملهما كنوز ايسس فاتيا الاسكندرية وظلاً فيها حتى توفي الاب فانتقل ابولون الى منف واقام فيها يقضي اوقاته في الدرس والتفتيق محافظاً على شعائريته فاذا اراد التجلي عن عزلته اجتمع بالنجمين والعرافين والكياوين الذين كانوا يشتغلون في تحويل المعادن الرخيصة الى ذهب ولم يلبث هؤلاء جميعاً ان اكتشفوا منزلته في العلم ومبلغ معرفته وحكمته فذاع خبره بينهم وانتشر صيته في مصر حتى بلغ العرب في الفسطاط فلما اراد عمرو بن العاص تعيين القبلة كفّهُ ذلك فصعد بامرره وعين القبلة واعتمدها المسلمون واعتراه مرض فاتوا اليه بفيلبس وكان هذا لا يزال حديث السن قريب الشهرة فافرح جهده في علاجه ومداواته حتى برىء وعجب ابولون بسعة معارفه وحذقه وفطنته فعطف عليه وتعلّق به وكان كنز المحبة الذي كان مقفلاً عليه في فؤاده انفتح وافرغ ما فيه على فيلبس فاطلعه على ماضي سيرته وخلاصة معتقده وعينه وريثاً لامواله مشروطاً عليه ان يقيم معه الى يوم وفاته فرضي الطبيب وسكن الاثنان في بيت واحد وكان الشيخ اذ ذاك يشتغل في وضع كتاب في اللغة الهيروغليفية فطلب من فيلبس ان يشاركه في تأليفه لقلة علمه باليونانية ولسعة اطلاع هذا فاشتركا في المعيشة والسكن والعمل على اختلاف مشربيهما وتفاوت سنيهما فقد كان ابولون يناهز السبعين وقد صاع رأسه وتغضن جبينه واحدودب ظهره الا ان عينيه لم تزالا ينبعث منهما الذكاء والحدة والانفة وظلّ محافظاً على عقائده وطقوس مذهبه يقيم الصلوات في اوقاتها ويكثر من الاغتسال ولا يلبس سوى الكتان الابيض ولا يأكل من اللحوم سوى لحم الطير والبقول وكان شديد الكره لليونان وللأعيان لزعمه ان ما قاساه من الاضطهاد وما ذاقه واهله من الجور كان علته هؤلاء

وكان فيلبس لا يكتف عن امرّا ولو فعل لانتزع سره منه بفطنته ودهائه فلما لقي باولين وثمه حبها اخذ يصفها ويطنب في مدحها ويتغني بصفاتها الى ان وقعت النفرة بينها وبين ابن المقوقس وقام فيلبس على العناية بها فاطلعه على ما جرى ولحظ الشيخ ما كان يخامره من الميل الى التزوج بها فقال

-- تدبر ما نقول وما تفعل فان هؤلاء الشرفاء لمن اقصى الناس قلباً وابعدهم عن الرحمة والمعروف واولادهم مثلهم فهم ينظرون اليك لا كاقران بل كمن هم ادنى منهم مقاماً وجيلة فافقه كلامي ان ابنة توما هذه تبش اليوم في وجهك لحاجتها اليك فاذا ما انقضى اليوم وجاء الغد طرحك كما طرح جلد الببر من تحت قدمي يوم ينقضي الشتاء وتبدو طلائع الربيع اما قولك

ان النفور مستحكم بينها وبين ابن المقوقس فذاك سحابة صيف فلا يلبثان ان يصطلحا واعلم ان الحب والبغض طرفا عصا فيمكن قلبها ساعة تريد ولما كان هؤلاء القوم من طبقة واحدة ودم واحد فهم يتجادبون كما يتجادب الحديد والمغنطيس

لكن هذه النصائح ونحوها من التوبيخ والتوبيخ كانت كالكتابة على صفحات الماء فانها لم تكن عزم فيلبس فلم يقطع الرجاء وظل في صدره بقية من الامل حتى بعد ان ابت باولين عليه خطاها كمحب كما تقدم الى ان كان يوم الاجتماع في بيت روفينس للنظر في شؤونها المالية فتبين له ان ابنة توما لم تعد تذكره اوريون بل كان فرحها بوجوده معها ظاهراً في جميع حركاتها وكلامها فرأى حينئذ ان ابولون كان مصيباً في ما قاله فضاقت صدره وعيل صبره ولم يستطع تأويل ما فعلته تلك الحسناء وعجز عن استطلاع طلوعها فانها ظلت تباليغ في اكرامه والاحنفاء به فعاوده بعض الامل ولما ذهب لعيادة الجريحين في تلك الليلة التي راج فيها اوريون الى الفسطاط هزته الوجد فافاض في وصف حبه لها وشدة تعلقه بها فلقى منها اعراضاً عن حبه وتمسكاً بصداقته قطعاً لامله وضيعاً لرشده وفي اثناء كلامه معها راهما اوريون كما تقدم فعاد فيلبس من بيت روفينس لا يلوي على شيء حتى اذا ما وصل الى منزله استلقى على مقعد في غرفة ابولون وقد بدا الحزن والخيبة في وجهه فطرح الشيخ طروسة على المائدة وقال

— اذا لقد تم تمثيل الرواية واظننا مأساة فقال فيلبس لا تكون مأساة وانا في قيد الحياة — لكنك مجروح الفؤاد وجرحك دام فلومك على نفسك فقد حذرنا الثعلب من الفخ وكان في طاقته امس ان يبتعد عنه فابى وهو اليوم يلعن حماقته ويندب سوء حظهِ اتريد ان اصف لك ما حدث ان الشريفة حافظت على ولائك ايام حاجتها اليك حتى اذا ما طاب لها المقام ووضعت يدها على اموالها القتل عنها واستعاضت من الطبيب المسكين بادونس الفتان كما يغيب نور القمر ساعة تطلع الشمس . اصحيح ما قلت ام كذب

— ليتهُ كان كذبا ثم وقف فيلبس وقال

— ايها الصديق الصدوق قد اتخذتني ابناً لك ولقيت فيك اباً بدلاً من والدي الذي مات في صباي فعطفت عليّ وغمرتني بحبك وفضلك فاعلم انه لم يبق لي سوى باب واحد للفرج فقد عزمت على فراقك وهجران هذه المدينة فاطلب البعد عن باولين فقد ذقت في عشرين خلاصة السعادة ثم نالني منها عذاب لا يذكر في جنبه عذاب جهنم فانا ذاهب لا محالة الا اذا استطعت ان تشفي ما بي من الوجد او تحوله الى حب اخوي . فلما سمع ابولون هذا الكلام ورأى اضطراب صديقه وشدة حزنه صاح باعلى صوته

— انقول جداً ام اتصلت بك الحمافة الى هذا الحد الم يكفك ما اصابك من العذاب بفضل هذه ... افأدركت الآن علة تحذيري اياك من الاشراف والشرىفات تحسب انها تعتد برجل فاضل وثقيل معروفة بالشكر وامانة في خدمتها بالثناء ايسرك ان تقضي على سعادة شيخ فان وتحقق هناه لاجل ابنة توما وحبيبها فاين عقلك واين حكمتك وما الفائدة من علمك وفضلك اذا قضيت ايامك في النوح والعيول كما تفعل النساء فتربص في مكانك وساعلمك كيف تكبح جماح وجد يحط من كرامتك وقدرك

— علمني فقد سألتك ذلك فانا لم اخلق لابي ربيع الاحبة وانوح على اطلالهم وهانذا مستعد لمجاهدة هذا الهوى ومصارعته ولكني القيم عليها وعلى اموالها ووظيفتي هذه تقضي علي برويتها كل يوم واخشى ان يصرعني الهوى فلا اقوى عليه فاهلك نفساً وجسداً وارى ان منف لا تسعنا نحن الاثنين

— اذاً فلا تبقى حضرتها في منف

— وماذا تعني

— ان منف في حاجة شديدة اليك وهي في غنى عن السيدة الشريفة على افي ارى الفجر يكاد ينشق فيها بنا الى مضجعنا وكم من عقدة اعياء الحكماء حلها في الليل فاهتدوا اليه بنور النهار ولعل الالاهة توحى الي اسلوباً لحل هذا المشكل فاتكل علي ولا نقل بعد انك تريد فراقى فتترك صديقك الشيخ وحده فانا اعرف الناس بشهامتك فاذهب الآن وحاول ان تنام عساك ان تستريح وقد ينسبك شقاءك ما تراه من شقاء مرضاك وعذابهم وكثير ما هم ثم سار كل الى مخدعه فلما انفرد ابولون وقف يناجي نفسه فقال

— ألا ان حشر اثنتي عشرة فتاة في جهنم اولى من ان يخسر العالم رجلاً كفيلبس وقد عجمت عودك ايتها السيدة ووقفت على ما يدور في خلدك فانت تحسبين الطيب غير كف لك فنبذته عنك نبذ النواة واتخذت اوريون والناس فيما يعشقون مذاهب فما قولك اذا تداخل ابولون في هذا الشأن فانظريني قليلاً ريثاً ادبر الامر بنفسي فقد نلت مطالبي جميعاً في حلبة العلم وليست حياة الحكيم سوى الانتفاع بالمعرفة ولا يصعب على ابولون ان يطبق علمه على ماجريات الحياة ولو مرة قبل موته ولا ريب ايتها الحسناء في انك تحمدين مقامك مع حبيبك في منف لكنك ستضطرين الى تركها لاجل الرجل الذي قيمته عنك وثقي ايتها الشريفة اني سارغملك على ذلك

(ستاتي البقية)

محمد علي باشا

للدول الاوربية قناصل في الشرق يهتمون بمصالح قومهم المقيمين فيه ويخبرون رجال حكومتهم عما يحدث في البلاد التي هم فيها او عما يتصل بهم خبره . والغالب انهم يكتبون عن علم وروية ودولهم تعتمد على اخبارهم وتبني سياستها عليها . وقناصل الانكليز في الطبقة الاولى بين قناصل الدول الاوربية من حيث جمع الاخبار وصدق الرواية وصحة الحكم ومنهم رجل اسمه المسترجون باركر اقام في سورية والعراق والقطر المصري قنصلاً لدولته في اوائل القرن الماضي واواخر الذي قبله . وقد نشر ابنه تاريخ اعماله في مجلدين فيهما كثير من المكاتيب الرسمية التي كتبها الى رجال دولته وغير الرسمية التي كتبها الى اصدقائه وذوي قرابه وتظهر منها احوال البلاد التي كان فيها ظهوراً خالياً من شوائب الغرض لاسيما وانه كان مشهوراً باستقامته وشهامته ودقة نظره وقلة مجاملته

ولما كثر ذكر محمد علي باشا في هذه الايام رجعنا الى هذا الكتاب لنرى ما قاله صاحبه عما كان يراه بعينه ويسمعه باذنيه فالتقطنا منه الفقرات التالية وكانت متفرقة في بعض مكاتيبه التي كتبها وهو في هذا القطر وسنشرها الآن حسب تواريخها ولا نعقب عليها بشيء من عندنا بل نترك الحكم فيها للقارئ اللبيب وهو يستنتج منها ما شاء

جعل المسترجون باركر قنصلاً في الاسكندرية بعد ان كان قنصلاً في حلب فقام من حلب الى السويدية وانتظر الى ان جاءت به بارجة انكليزية في ٩ اكتوبر سنة ١٨٢٦ فحملته هو وعائلته ومرت في طريقها على بيروت وصيداء وبلغ الاسكندرية في ٢٥ اكتوبر . وكانت الاسكندرية حينئذ صغيرة حقيرة لم يكن فيها الا مركبتان مركبة محمد علي ومركبة صهره محرم بك

وفي ٢٥ نوفمبر كتب الى وكيل نظارة الخارجية في لندن كتاباً طويلاً ورد فيه الكلام التالي عن محمد علي باشا

”يسرني ان اخبركم انه في مقابلتي الاولى للوالي (١) لا قدم له اوراقي الرسمية قابلني سموه باللطف والاكرام . ولكي لا ينهض لي حين دخولي ولا يقابلني جالساً كما قابل قنصل سردينيا الجنرال وقنصل النمسا الجنرال اتى الغرفة التي ادخلت اليها من غرفة اخرى وهذا اكرام خاص .

(١) الكلمة الانكليزية Viceroy ومعناها نائب الملك وهو لقب خديوي مصر حتى الآن باللغة الانكليزية وقد استحسننا ترجمتها بالوالي لان هذا كان لقب والي مصر قبل ان اعطي لقب خديوي

فاخبرته ان ملك الانكليز تكرّم وعيني قنصلاً لدى سموه في الاسكندرية ثم سلم ترجماني براءة تعييني الى بوغص يوسف ترجمان سموه فامر الباشا بردها الى ترجماني من غير ان يشتمها . وجعل يحدثني كافي احد معارفه واخبرني عن اربع فرقاطات تبني له الآن في مرسيليا ولغورن وسترسل اليه في الربيع القادم وقال ان الاروام لم يوقعوا بسفينة من سفنه حتى الآن . ومدح سلفي المسترلي وقال انه كان على جانب عظيم من التعقل مستدلاً على ذلك بانه لم يكن يمترضه في شيء ولا يخالف له حكماً لانه لا يحكم الا بالحق والعدل ورغب في ان اكون مثله فاتفق مع سموه كما كان المسترلي متفقاً معه . ودامت المقابلة اكثر من نصف ساعة قصص علي فيها القصة التالية قال ولدت في قرية من بلاد الارناؤوط وكان لابي عشرة اولاد غيري ماتوا كلهم الآن ولكنهم لما كانوا احياء لم يكن احد منهم يخالفني في شيء . وقد تركت بلدي قبلما بلغت سن الرشد ولكن كان اهل بلدي يستشيرونني في كل امر واتيت الى هذه البلاد وانا لا املك شيئاً ولما كنت في رتبة بكباشي جاء مورد الخيام ليعطي كلاً من البكباشية خيمة وكانوا كلهم اقدم مني ويحق لهم التقدم علي لكن مورد الخيام قال لم نخوكم لان هذا الشاب محمد علي مقدم عليكم فاعطاني خيمتي اولاً . وارنقت رويداً رويداً بمعونة الله الى ان بلغت هذا الحد . قال ذلك وانتصب في مجلسه ونظر من شباك الى جانبه يطل على بحيرة مربوط . ثم نظر الى البراءة في يد الترجمان وقال نعم بلغت هذا الحد وليس لي معلم

وكتب اليه بعيد ذلك يقول : اخر الوالي سفره الى القاهرة حتى امس بسبب ما حدث من التأخر في اعداد الاسطول وقد اعد وسار في العشرين من الشهر قاصداً المورة بقيادة صهره محرم بك وهو ثمان وسبعون قطعة ثلاثون منها بوارج حربية واربع حراريق و١٦ من مراكب النقل التركية و٢٨ من مراكب النقل الاوربية اكثرها رافع للعلم النمسي . وفيها الميرة للجنود ونحو ٨٠٠٠٠ او ٩٠٠٠٠ ريال اسبانيولي

وكتب في ٢٥ مايو سنة ١٨٢٧ يقول : الوالي مشغول الآن باصلاح بارجنين كبيرتين وخمس عشرة فرقاطة ارسلها الباب العالي الى هنا لاصلاحها . وعند سموه نحو ثلاثين فرقاطة وكورفت خاصة به . وهو يمتحن الآن السفن التي جاءت حديثاً من لغورن ومرسيليا

وكتب الى قنصل ازмир في ١٩ جون سنة ١٨٢٩ يقول : ماذا يستفيد الفرنسيون من صداقة الباشا . ليظهر ما شاء من الصداقة لهم اما نحن فيهمنا ان يخشى بأسنا وهذا هو مبدأ سياستنا . ضع الخوف من انكثرتا في كفة الميزان الواحدة وكل صداقتهم لفرنسا وتلقه لها وتزلفه اليها في الكفة الاخرى وانظر ايها ارجح

وكتب الى لورد بردهو (الذي صار دوق نورثمبرلند) في ٢٠ يوليو سنة ١٨٢٧ يقول:
وصل اربعة الاف جندي من القاهرة وهم في العدة الكاملة والانتظام التام ومعهم جوقتان من
الموسيقى العسكرية معهما ثلاثون من آلات النسخ وكالهم من اولاد العرب ينتخبهم اي فيلق
كان من الفيالق الانكليزية والمظنون ان الاسطول ينقلهم الى المورة في الاسبوعين التاليين
وقال في كتاب كتبه حينئذ الى صديق له ان هواء الاسكندرية على غاية الجودة
والمقام فيها طيب ولكن حال الافرنج فيها اسوأ ما يكون في بلاد الترك لان القناصل اطمعوا
الباشا بهم وهم الآن تحت رحمته

وخاف سكان الاسكندرية ان تنشب الحرب بين تركيا والدول الاوربية بسبب المورة
فتضطر مصر ان تحارب مع تركيا فكتب في ٢٤ يوليو يقول: لاخوف من ذلك لان محمد علي
يبقى على الحياض حينئذ لئلا تلتف عمارته البحرية وهي اعز شيء لديه وعليها اعتماده اذا اراد
ان يبقى في ولاية هذه البلاد

ثم اتلفت عمارات الدول الاوربية العارة التركية والعارة المصرية في العشرين من
اكتوبر كما هو معلوم. وبلغ الخبر محمد علي فرض لا احكام القدر وقابله المستر باركر حينئذ
وقال له ان الاتراك هم الذين اطلقوا القنابل اولاً ولولا ذلك ما حدث شيء مما حدث فقال
له كلاً بل ان ما حدث مقدور لا يمكن رده

وكتب الى السرايورد كودرنجتون امير الاسطول الانكليزي في البحر المتوسط في ٢٨
نوفمبر يقول: وصلني كتابكم المؤرخ من نفارين في ٢٥ اكتوبر وعليه اجيب ان سمو والي بلغه
خبر تخريب عمارته ولم يحدث لنا شيء مما كنا نخشى وقوعه وفي الثاني من هذا الشهر انتشر
الخبر في الاسكندرية ولكن لم يبد من الاهالي اقل شيء من علامات الغيظ والانتقام. وقد
ابدى سمو والي الصبر ورحب الصدر في هذه النازلة. وحينما كان يقرأ خبرها كان يتوقف
مراراً ويقول لقد انبأتهم بذلك وانذرتهم بهذه العاقبة لانني اعلم من هم الاروام. وقبل ان يتم
قراءة التقرير ارسل واستدعى الكونت دواسنفيل قومندان الفرقاة الفرنسية لاقتسال وأكد
له ان تخريب عمارته لا يغير مودته للرعايا الفرنسيين ولا لغيرهم من الاوربيين المقيمين في
بلاد الذين يحسبهم اهلاً لعنايته وحمايته كيفما تقلبت الاحوال

وفي اليوم التالي قابلت سموه قنابلي متعطفاً بلطف يزيد على المعتاد وأكد لي ما قاله سابقاً وهو انه
اذا نشبت الحرب بيننا وبين الباب العالي فالانكليز الذين في القطر المصري يبقون متمتعين بالحماية
والرعاية ولا ينالهم اقل اذى. ثم قال اني اشتهرت بالعدل والحرية ولا بد لي من الاحتفاظ بهذه الشهرة

وقلت له ان السلطان انذر اوربا بقتل كل النصارى في مملكته اذا تلفت عمارته فلم يقل لي لاتصدق هذا الكلام بل قال "انه ان كان السلطان يفعل هذا الامر المنكر فلا يكون مسلماً بل يكون كافراً بشر يعتنا لانها تأمرنا امرأ صريحاً بحفظ دمة النصارى القاطنين في بلادنا"

ويظهر لي انه يتربص الفرص الآن حتى اذا نشبت الحرب بين الباب العالي ودول اوربا يجد سبيلاً للبقاء على الحياد لكنه لا يترك التأهب وعنده الآن نحو خمسة آلاف اوستة آلاف من فرسان البدو والمال قليل في خزانته لكثرة ما انفق على حرب المورة ولانه جاء على البلاد سننا قحط وزد على ذلك كثرة النفقات التي انفقها على معاملته ومرفأ الاسكندرية والقصور الفخيمة التي تفوق قصور الاستانة مع ان ايراده لا يزيد في سني الخصب على اربعة ملايين من الجنيهات ولذلك لا ادري من اين يأتي بالمال لهذه النفقات

قال جامع الكتاب ولم يكن المستر باركر يدري ان محمد علي يتجر بحاصلات البلاد فيها ويربج منها ريجاً وافراً فلما علم ذلك كتب في ٣٠ مايو سنة ١٨٢٧ يقول : قبلما اتيت هذا القطر كنت احسب ان سموه يرسل الحاصلات الى اوربا لتباع فيها كما يفعل التجار فيكتب الى عميله مثلاً اني مرسل اليك كذا وكذا بالة من القطن بالسفينة الفلانية وطيه ورقة الشحن فاستلم البضاعة بموجبها وادفع اجرة الشحن وبع البضاعة بالثمن الأحسن وابق صافي الثمن تحت امري . وظننت انه يمكنني ان افنع بوغوص ليرسل بعض القطن الى اخي في جنوى لكنني وجدت الامر على غير ذلك فان الباشا عرف بالاخبار ان التجار يخونونه اذا اتهمهم ولذلك فالطريقة الفضلى له ان يأتي بالقطن الى الاسكندرية ويبيعه بالمزاد لمن يرسو عليه اعلى سعر ويكون الثمن نقداً . ثم صار يحتاج الى النقود قبل اوان الموسم لكثرة ما تقتضيه مشروعاته من النفقات فصار يقول للتجار اني اقدم لكم بعد ثلاثة اشهر او اربعة او خمسة اوستة كذا بالة من القطن واطلب منكم الآن تسعة اعشار الثمن نقداً واتعهد بارسال القطن الى عملائكم في اوربا . وقد بلغ من تناظر التجار بعضهم مع بعض ان اوصل بيت فرنسوي منهم ثمن القنطار الى ثلاثة عشر ريالاً يدفع نصفها او ثلثيها سلفاً والباقي عند التسليم . ويقول الذين ذكرتهم في هذا الموضوع من اصدقائي ان هذا الثمن فاحش وفيه غبن كثير على المشتري . واذا بعث الباشا بالقطن الى التاجر وعلم انه يبقى له عنده جانب من الثمن طلب منه ان يرسل اليه بعض الآلات الثينة او نحو ذلك مما يفوق ثمنه الجانب الباقي من ثمن القطن حتى يكون مديوناً لا دائماً حاسباً ان حماقة تجار اوربا تجعلهم يرسلون ما يطلبه منهم لكي لا يخسروا معاملته

وكتب الى اخيه في ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٢٧ يقول : "رجعت الآن من رشيد وقد ذهبت اليها

في النيل مع جماعة متنزهًا . اول شيء وقع عليه نظري شجرات من الصفصاف راقني منظرها
جداً حتى كدت اطرح نفسي تحتها . ثم زاد المنظر جمالاً وبهجةً الى ان وصلت الى ابني الانهار ودخلت
السفينة فسارت بنا والنسيم يسوقها والتيار جارٍ معها وانا اشعر بسرور وارتياح لم اشعر بمثلهما في
حياتي الى ان تعطرت الارجاء برائحة النارج فعلنا اننا صرنا على مقربة من رشيد . والتفت
الى الشاطئ واذا انا بجبل من بالات القطن فيه الف وخمسة مائة وبجبل آخر من اكياس
القول جبل شاهق يصعد عليه السيّاح فيطأون على المدينة والبلاد المجاورة . هذه احدى
عجائب مصر . ورأيت اربعين آلة لضرب الارز وقشرو ومعملين بديعين لنسج القطن ومعملاً
فاخراً للعمل الطرايش المغربية لم يستطع الاوربيون ان يناظروه . وفي هذه المعامل ثلاثة
آلاف او اربعة آلاف عامل لا يساعدهم احد من الاوربيين

وعادت بقية الاسطول العثماني الى مصر في اوائل سنة ١٨٢٨ فكتب المستر باركر يقول :
”عاد محرّم بك ومعه عشرون ألفاً منهم ٥٥٠٠ من اسرى الاروام والباقون بحجارة . والسفن التي
عادت ٤٧ ونقسم هكذا

السفن المصرية	عدد	السفن التركية	عدد
فرقاطة فيها ٦٠ مدفعاً	١	بارجة	١
كورثت	٥	فرقاطة فيها ٤٤ مدفعاً	٤
ابريق حربي	١١	كورثت	٤
سفن نقل	٢١		٩
	٣٨		

وبلغني ان عند ابراهيم باشا من الميرة ما يكفيهِ ثلاثة اشهر او اربعة . وكان اكثر الاسرى من
الفتيان والفتيات فوزعوا على بيوت الكبراء في الاسكندرية والقاهرة ووعد محمد علي بردهم الى
اهلهم لكنني اشك في مقدرة على انجاز هذا الوعد

والحّت الدول المتحابة على ابراهيم باشا ان يترك المورة ويمضي الى الروملي فكتب الى ابيه
يستشيرهُ في الامر وجاء السرادورد كوردنجتون امير البحر الى الاسكندرية لهذا الغرض
وبعد جدال طويل امضى محمد علي المعاهدة التي بموجبها خرجت الجنود المصرية من المورة
وكان للمستر باركر اليد الطولى في ذلك . ثم اشتغل في افتدائ الاسرى فلم يقبل منهم بالعتق
الا اربع مئة واما الباقيون ففضلوا البقاء في مصر
وعاد ابراهيم باشا الى مصر فكتب المستر باكر في ١٣ اكتوبر سنة ١٨٢٨ يقول : ”عاد

ابراهيم باشا وكل جنوده تصحبهم البارجة الانكليزية دارتموث وبارجة اخرى اوربية ومع ابراهيم باشا خمسة عشر الفا وهم والخمسة الآلاف الذين رجعوا قبلاً نصف الجيش الذي ذهب الى المورة وعاد معهم اربع مئة من نساء الاروام متزوجات برجال منهم
وكتب الى احد اصدقائه في ١٧ يناير سنة ١٨٢٩ يقول :

”اني انا والمسيو دروفتي (قنصل فرنسا) راضيان بالحالة الحاضرة لا شيء يقلقنا ولكن المسيو بزاني قنصل روسيا الجنرال أمر بالرحيل عن هذه الديار منذ بضعة ايام مع ان الباشا كان قد سمح له بالبقاء فيها بغير صفته الرسمية . ويقال ان سبب ذلك اوامر جديدة وردت من الاستانة ولكن من المؤكد انه اغاظ الباشا منذ ايام فانه زاره يوم الجمعة ودخل مجلسه من غير استئذان وكان غاصاً بالعلماء وتقدم وجلس الى جانبه فوق صهره محرم بك . ولما خرج سأل بعض الحضور من هذا الرجل فقال الباشا بيداهته المشهورة انه قنصل روسيا الذي عزمت ان اخرجهُ من بلادي“

وكتب في ٥ مايو يقول : ”وردت الاوامر بتعييني قنصلاً جنرالاً في القطر المصري وكتب اليّ لورد ابردين يقول لقد سررت جداً بما بدا منك من سداد الراي في حل المشاكل السياسية التي ظهرت حديثاً وانت في منصب النيابة عن القنصل الجنرال فعرضت اسمك على جلالة الملك لتعيينك في هذا المنصب ففكرم جلالته واجاب طلي“

وكتب في ٦ مايو سنة ١٨٢٩ يقول : ”لا يزال ابراهيم باشا يؤخر السفر بمجنوده لاعانة السلطان على الروس واخيراً رضي السلطان ان يأخذ من محمد علي مليون ريال بدل هذه الاعانة“
وكتب في غرة سبتمبر سنة ١٨٢٩ يقول : ”ان الباشا باذل اقصى جهده في تحصين الثغور البحرية لانه يحسب ان السلطان سيعود اليه ويناقشه الحساب بعد فراغه من حرب الروس . وعنده الآن خمسون الفا من الجنود المنظمة وخمسة عشر الفا من البدو وهو قادر على مناوأة السلطان من حيث عدد الجنود وتنظيمها ولكن سلطة السلطان الدينية وان تكن قد ضعفت كثيراً لاتزال ترهبة . وقد سمعنا الآن بمقدمات الصلح بين الاتراك والروس . ثم كتب يقول : طغى النيل سنة ١٨٢٩ فأتلف من المزروعات ما يقدر بثلاثة ملايين من الريالات ولذلك تأخر محمد علي عن مساعدة السلطان على دفع القسط الاول من غرامة الحرب لروسيا ولكنه لم يتأخر عن التأهب مخافة من ان يقصده السلطان بمكره . وغاظه عقد الصلح بين الدولة والروس لانه اراح السلطان . وقد انزل في الاسبوع الماضي فرقاطة محمولا خمسون مدفعاً بناها له رجل تركي امي لا يقرأ ولا يكتب . وعنده رجل فرنسوي اسمه ده سريسي وهو

الذي بيني سفنه عادة وقد بنى له الآن بارجة محمولها ١١٠ مدافع ولا يزال بيني ثلاث بوارج اخرى عدا الفرقاطات والكورفتات

وكتب الى القنصل الجنرال في الاستانة في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٢٩ يقول: "طلب السلطان اسطوله واسطول محمد علي ومبلغاً طائلاً من المال فارسل اليه الاسطول الاول والمال الذي طلبه واما الاسطول الثاني (اي اسطول محمد علي) فلم يرسله لعله ان بقاءه في ولاية هذه البلاد متوقف على اسطوله. واسطول السلطان مؤلف من ثمان عشرة سفينة فيها بارجة وفرقاطة لا تصلان الى الاستانة والبقية وهي خمس فرقاطات وعشرة كورفتات في حالة صالحة. اما المال المطلوب فهو خمس مئة الف ريال ولولا الضرر الذي حل بالقطر بسبب فيضان النيل لارسل مبلغاً اكبر من هذا واني ارى رأيك وهو ان وقوع العداء بينه وبين السلطان ليس من مصلحتهما. ومحمد علي يبذل كل مرتخص وغال ليبقى على ما هو عليه لانه حائر تمام الاستقلال فعلاً" وكتب في ١٦ مارس سنة ١٨٣٠ يقول: "ان دولته طلبت منه ان يجابر محمد علي في مهمة سرية ذات شأن كبير وان محمد علي ابى ان يساعد الفرنسيين على اخذ بلاد الجزائر واغناظ من اغارتهم عليها فائلاً انهم سيمتلكون كل ساحل افريقية الشمالي ويصيرون في جوارى وهذا يسوءني جداً. ولم تبق شبهة في انه ينوي الاغارة على بلاد الشام لان الاستعداد لذلك قائم على ساق وقدم"

وكتب في اول ابريل يقول: "في الرابع والعشرين من الشهر الماضي تكلم ابراهيم باشا مع ضباط جيشه وبين لهم عزمه على مناوأة الدولة كأنه يريد ان يؤثر في عقولهم استعداداً لهذا الحادث الجلل حتى اذا حدث لا يستعظمونه ومما قاله لهم "ماذا انتفعت انا او انتفعتم انتم من السلطان لو طلبنا منه شربة ماء لمنعها عنا ونحن كلنا قد اكلنا خبز محمد علي وربينا عنده كاولاده وبفضلهم وكرمهم وصلنا الى ما وصلنا اليه انا وانتم. مصر له ان هذا بسيفه ولذلك لا نعرف لنا حاكماً غيره"

ومن الاغلاط الشائعة ما يزعمه البعض من ان ابراهيم باشا ليس ابن محمد علي بل هو مملوكه ولكن كل من يرى الاثنين يجد الشبه التام بينهما ولا سيما في قصر الذراعين. وسبب هذا الغلط ان محمد علي كان يظهر الحب لابنه طوسن اكثر مما يظهره لابراهيم ثم ان رتبة ابراهيم باشا اعلى من رتبة ابيه لانه امير الحرمين وتلوها رتبة امير الشام او امير الحج ثم رتبة امير بغداد ثم رتبة امير مصر وهي رتبة ابيه

« ستأتي البقية »

ناب الزراعة

مناظرونا في الزراعة

من أكبر مناظرينا في الزراعة اهالي الجزائر الاميركية المعروفة بالهند الغربية فان بلادهم حارة مثل بلادنا ويزرعون كثيراً من المزروعات التي تزرع في القطر المصري ولا سيما قصب السكر. وقد اهتمت الحكومة الانكليزية حديثاً اهتماماً عظيماً بانشاء مجلس زراعي لهم اناطت رئاسته بالدكتور موريس. وقد اطلعنا على خطبة له اشار فيها الى اعمال هذا المجلس في العام الماضي ومنها عقد المؤتمرات الزراعية السنوية التي يشترك فيها ارباب الزراعة ويتداولون في ما يعود عليهم بالفائدة. وقد طالعنا مداولات هذه المجالس فوجدنا فيها دلائل العلم والبحث والتنقيب والرغبة في نشر الفوائد الزراعية ووددنا ان نرى المداولات في اجتماع جمعيتنا الزراعية جارية هذا الجرى وغير مقتصرة على كلمات يقولها الرئيس ونقريه يقدمه الكاتب والبحث في مسألة او مسألتين من المسائل الادارية. والظاهر ان ارباب الزراعة في تلك البلاد يحضرون المؤتمر الزراعي بقصد الافادة والاستفادة فيفسح لهم المجال في اجتماعات متوالية يجتمعها الاعضاء ويتلون فيها خطباً ونقارير مبنية على بحثهم واخبارهم

ومما اشار اليه الخطيب تقارير اللجان التي عينت للبحث في بعض المسائل الهامة كمسألة التقاوي ومسألة السماد ومسألة الاثمار التي تصدر من البلاد ثم فصل بعد هذا الاجمال مسألة زرع قصب السكر وما جرى من الاهتمام بتكثير سكره ودفع الحشرات عنه وقال انه يرجو ان يزيد السكر في القصب اربعين او خمسين في المئة. والتفت بعدها الى الكاكاو والاروروط والبطاطة الحلوة والبصل وتربية النحل وانتقل الى التعليم الزراعي وتقديم الخطب الزراعية لمعلمي المدارس الابتدائية حتى يتعلموا منها مبادئ هذا العلم ويعلموها لتلاميذهم. ووصف المدارس الزراعية في سنت فنسنت وسنتا لوسيا ودومينيكا. ولا ندري كيف يكون حالها الآن بعد الثوران البركاني الذي اصاب تلك الجزائر

وانتقل الى الكلام على دور الامتحان الزراعي والمعارض الزراعية والمطبوعات الزراعية التي طبعت ونشرت في مواضيع مختلفة ويظهر لنا من مطالعة هذه الخطبة ان الهمة التي تبذل في تلك الجزائر الصغيرة القليلة

السكان تفوق المهمة التي تبذل في القطر المصري فعسى ان يقتدي ولاية الامر في هذا القطر بما يفعله غيرهم في تلك الجزائر الثائية ويهتموا بادخال التعليم الزراعي في كل المدارس الثانوية والابتدائية لشدة الحاجة اليه

الاراضي الزراعية في القطر المصري

يزيد نطاق الاراضي الزراعية في القطر المصري عاماً بعد عام كما ترى في الجدول التالي لكن هذه الزيادة لا تجري على نسبة واحدة في كل المديرية لانها مختلفة في مساحتها وفي اتساع الاراضي البور فيها وفي ما بلغها من ماء الري حتى الآن وقد اقتصرنا على ذكر المساحة كل خمس سنوات من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٩٠١

سنة ١٩٠١	سنة ١٨٩٦	سنة ١٨٩١	سنة ١٨٨٦	سنة ١٨٨١	المديرية او المحافظة
فدن	فدن	فدن	فدن	فدن	
١٩٤٨١٩	١٩٣١٨٥	١٨٦٦٠٨	١٨٥٦٢٨	١٨٥٦٧٧	القليوبية
٥٣٥٩٤٣	٥٣١٤١١	٥٣٥٠٧٦	٤٣٠١٦١	٤٢٠٥١٢	الشرقية
٥٠٣٠٩٦	٤٩٢٨٣٦	٤٧٦١٨٨	٤٥٩٧١١	٤٥٣٦١٧	الدقهلية
٩٧٥٢٨٧	٩٣٦٦٤٠	٨٣٧٧٩٨	٨٣٣٢٠٦	٨١٢٨٨٦	الغربية
٣٥٢٥١٩	٣٥٢٢٠٩	٣٥٠١٧٥	٣٤١٧٤٧	٣٣٨٨٩٣	المنوفية
٦٩٣٥٩٦	٥٦٨١٢٩	٤٩٥٠٩١	٤٦٥١١٤	٣٩٨١٢٧	البحيرة
١٨٢٢٢١	١٧٨٧٣٨	١٨٠١١١	١٧٦٦٥٨	١٧٥٤٩٦	الجيزة
٢٣٦٩٣٦	٢٣٦٠٩٩	٢٣٤٥٦٣	٢٢٩٥٢٤	٢٢٧١٤٢	بني سويف
٢٩٤٤٧٢	٢٦٨٥٧٤	٢٢٩٧١٨	٢١٨٨٦٥	١٩٤٠٠٩	الفيوم
٣٩٥٢٧٣	٣٩٥٣٠٧	٣٨٨٣٥٩	٣٨٧٥٦٩	٣٦٨٦١٤	المنيا
٤١٧٤٣٥	٤١٤٩٢١	٤١٦٨٩٣	٤١٥٢٢٣	٤١٣٢٤٥	اسيوط
٣٢٥٤٤٠	٣٢٣٠٧٩	٣٢٥٩٨٤	٣٢٢٠٤٢	٣٢٠٤٢٦	جرجا
٣٤٣٥٣٧	٣٣٩٩٨٠	٣٣٩١٥٧	٣٧٤٣٠١	٣٧٣٢٠٠	قنا
٧٠٨٢٥	٧٣٠٠١	٧٠٧٩٥	١٤٠٥٩٤	١٣٣٥٦٢	اصوان
٢٩٠٦	٦٩٨				السويس
٥٥٦٥					القنال
٥٥٢٩٨٧٠	٥٣٠٥٨٠٧	٤٩٦٦٥١٦	٤٨٨٠٣٤٣	٤٧١٤٤٠٦	الجملة

يرى مما تقدم ان نطاق الاراضي الزراعية زاد في كل المديرية الا في اصوان وان هذه الزيادة بلغت في البحيرة ثلثة الف فدان وفي الغربية مئة وستين الف فدان وفي الشرقية اكثر من مئة الف فدان وفي الفيوم مئة الف فدان وفي قنا سبعين الف فدان وفي الدقهلية خمسين الف فدان وجملة الزيادة اكثر من ثمانمئة الف فدان في عشرين سنة عدا الزيادة في اصلاح الارض الزراعية نفسها

مرض القطن

نشرت الغازات مقالة في هذا الموضوع لحضرة المستر فلتشر من اساتذة مدرسة الزراعة وقد ترجمناها عنها لتعميم نفعها

سبب المرض

رأى كاتب هذه المقالة عند زرع القطن هذه السنة ان كثيراً من البزور لم تخرج نباتاً فوق وجه الارض . وبعد البحث ظهر ان ذلك لم ينشأ عن رداءة التقاوي بل انها حالما تفرخ كان يسطو عليها احد نوعين من النباتات الفطرية فيقتلها وهذان النوعان احدهما من الفصيلة المعروفة عند علماء النبات باسم (Oomycetes) وهو من النباتات الفطرية الدنيا والآخر من النباتات الفطرية العليا . وكلامنا الآن على النوع الثاني

شرح الكاتب في استنبات هذا النوع من الفطر استنباتاً صناعياً ليدرس طبيعته حتى يسهل علاجه . ثم بعد زرع القطن في اراضي مدرسة الزراعة رأى ان بعض النباتات اخذت تذبل وقوت او تنكسر على مساواة سطح الارض . فأخذ بعضها وفحص واستنتبت من حين الى آخر بالطرق المعروفة فوجد كل مرة ان السبب في موتها وجود النباتات الفطرية المذكورة

وفي ٩ يونيو الحالي احضر دولة البرنس ابراهيم باشا حلي الى مدرسة الزراعة عينات من هذه الشجيرات المصابة من اطيان دائرة القصر العالي في كفر الحمام ففحصها الكاتب تحت الميكروسكوب فوجدها مصابة بالمرض نفسه ثم زار هذه الاطيان باشارة دولة البرنس حسين باشا كامل وقدر ان الخسارة التي تنال موسم هذه السنة تبلغ ١٠ في المئة بسبب المرض وان المرض تقدم تقدماً سريعاً عما كان عليه في السنة الماضية . وبعد الفحص المدقق ثبت له ما يأتي

(١) ان المرض دخل هذه البلاد على المرجح من اميركا مع ثقاوي القطن السي ابلند وذلك منذ ثماني سنوات

(٢) ان ما يزرع من القطن في بقعة معلومة ويصاب بالمرض يصاب ايضاً سنة بعد سنة وذلك مما يدل على ان التربة نفسها مصابة

ثم ان اعراض المرض الخارجية تطابق اعراض المرض الاميركي المسمى بما معناه جرح
الوظيف وكذلك اوصاف نمو الفطر لكن الاميركيين عجزوا عن مشاهدة بزور هذا الفطر ولذلك
لا يمكن الحكم ان المشابهة تامة بينه وبين الفطر المصري
اعراضه

اعراض هذا المرض اماً ذبول نبات القطن كله ذبولاً سريعاً وموته بعد ثلاثة ايام او
انحناؤه عند مساواة سطح الارض . ولكن يجب الانتباه الى معرفة ما اذا كان هذا العرض
الاخير ناشئاً عن المرض الذي نحن بصدده او عن الدودة التي تنخر سوق القطن . فان الدودة
تنخر ثلماً يحيط بساق النبات على علوه ٦ او ٥ سنتيمترات عن سطح الارض على الغالب فتتكسر
الساق بسهولة من جرى ذلك . ثم ان وجود النخر الذي نخره دودة القطن ووجود مفزاتها
علامة فارقة لها عن النبات الفطري وفي كلتا الحالين المذكورتين آنفاً اي موت النبات وانحناؤه
تنتفخ ساقه فوق مساواة سطح الارض او تحتها اي فوق المكان المصاب او تحته وفيهما كليهما .
فيدق القسم الذي بينهما كثيراً حتى يسهل كسره . واذا فحص ظهره مشمول بخيوط من
النبات الفطري تبرز منه على زوايا قائمة وعليها دقائق صغيرة من التراب
اما اقسام النبات التي فوق المكان المصاب وتحته فتظهر صميحة سليمة الا اذا كان المرض
شديداً فتصير الجذور مطاطة كالجلد . واما المكان المصاب فيكمد لونه واذا قطعت الساق
طولاً ظهر ان المرض ممتد الى الانسجة الداخلية وان لون القسم الذي تحت الارض من الساق
اخضر زيتوني . ويرى في المكان المصاب على الغالب جرح ملتئم كل الالتئام او بعضه ومن
ذلك اشتق الاسم الاميركي مرض الوظيف لان المكان المصاب يصير كالوظيف وهو المكان
الدقيق من قائمة الحيوان بين الحافر والساق وسبب الالتئام محاولة النبات ان يتخلص من المادة
الفطرية بتكوين نسج ذي جدران كثيفة من داخله
طباعه

- (١) اشد ما يصاب القطن بهذا الفطر عند مساواة وجه الارض
- (٢) يمكن ان تصيب خيوطه النبات السليم فتضر به
- (٣) اذا وضعت هذه الخيوط في الماء انتشرت بسرعة وامتدت ٤ او ٥ سنتيمترات في ١٢ ساعة
- (٤) يتولد هذا الفطر من نوعين من البزور على الاقل لتكون في نسج النبات
- (٥) احد هذين النوعين مغلف بجدار خلوي كثيف وهو من النوع المسمى بالجراثيم
الساكنة لانه يستطيع ان يبقى في التربة بلا عمل مدة طويلة ثم يتولد ويصير نباتاً جديداً

(٦) تصيب هذه الجراثيم نسيج النبات الذي هو مصدر نموه وعليه فاذا كانت شديدة الوطأة توقف نمو النبات

علاجه

علاج هذا المرض على نوعين اما واق واما شاف . فاما العلاجات الشافية فقلما تؤثر في النباتات السنوية كالقطن ولكن يمكن تجريب الآتية منها

(١) ضع تراباً كثيراً حول الشجيرات حتى تمنع ما اضعفه المرض منها عن الانحناء والسقوط
(٢) عند ريها ابق التربة المباشرة لسوق الشجيرات جافة لان هذه النباتات الفطرية قلما تنبت اولا تنبت ابداً في التربة الجافة

(٣) سمّد التربة بمزيج من نترات الصودا واعلى الفوسفات على نسبة ١٠٠ رطل من الاول و ٤٠٠ من الثاني لكل فدان . والغرض من ذلك تعجيل نمو القطن وتمكينه من طرد النبات الفطري . غير ان معظم النفع يأتي من العلاجات الوقائية وهي

(١) يجب ان لا تنقل حطب القطن المصاب من غيط الى آخر خشية نقل العدوى ويجب الحذر من القاء شيء منه في الترع

(٢) يجب ايضاً منعاً لانتشار العدوى في الغيط الواحد ان تحرق القطن المصاب في ارضه ويترك معه كثير من التراب حينما يقلع لكي تهلك الجراثيم التي في الجذر وقسم كبير من الجراثيم التي في التراب حولها . ويجب ان لا ينقل شيء من تراب الارض المصابة الى الارض السليمة بالتقصيب ونحوه

(٣) منعاً لبقاء المرض من سنة الى سنة يجب ان تحرق النباتات التي تموت بالمرض حالاً قبل ان تجف وتيبس ويصير انتقال العدوى سهلاً

(٤) يجب ان تكون مدة تعاقب زرع الارض طويلة على قدر الامكان (اي لا يكرر زرع القطن فيها الا كل ثلاث سنوات او اربع)

(٥) يحسن القاء فضلات معامل الغاز في الارض بعد قلع سوق القطن

(٦) يحسن ان تغمس التقاوي في بعض السوائل الكيماوية التي تمت بزور الفطر قبل زرعها

(٧) يجب ان لا يزرع الا التقاوي القوية في الاراضي المصابة

زرع الغابات في مصر

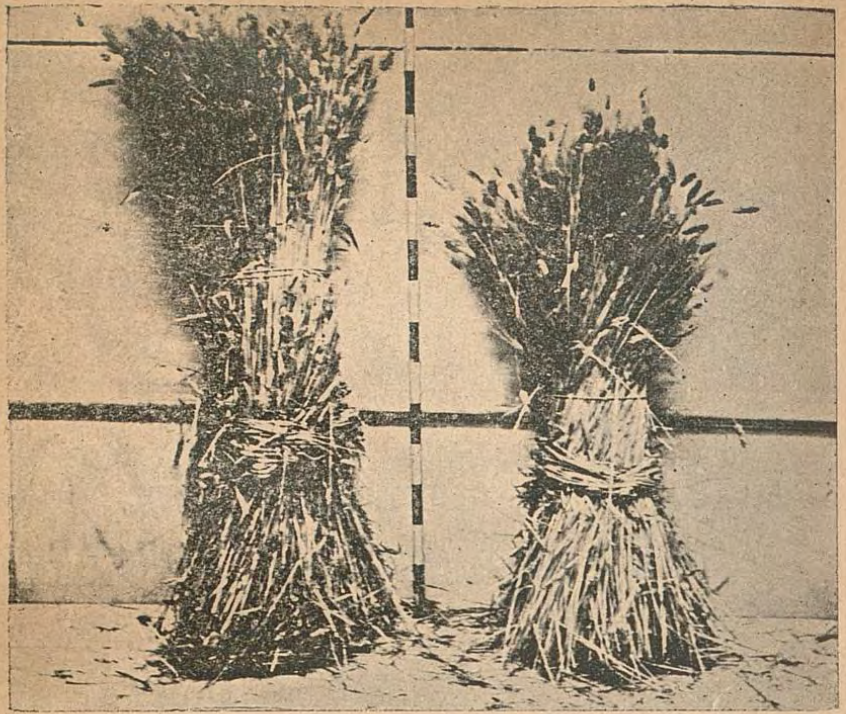
نرى من نظارة المالية ونظارة الاشغال العمومية اهتماماً كبيراً بحمل الناس على الاكثار

من زرع الاشجار حتى تكثر الحراج او الغابات في هذا القطر . وقد اطلعنا على شروط عقداتها حديثاً مع رجل انكليزي على ان يزرع الف فدان من سبعة آلاف فدان فيحق له ان يشتري ما يصلحه منها بثن بخس واشترطت ان يزرع الالف الفدان شجراً او سيسلاً وهو نبات يشبه الصبر اودم العفريت يستخرج من اوراقه الياف متينة لعمل الحبال ونحوها وقد اعطني المستر فلوير مدير التلغراف المصري بزرع الغابات على جانب خط سكة الحديد بين القناطر الخيرية والخطاطبة فترى هناك الوقاً والوف الوف من اشجار الصنوبر بعضها لا يزال صغيراً جداً وبعضها بلغ ارتفاعه عدة امتار وما لا يحصى من نبات السيسل . واقتدى به بعض المزارعين قرب الخطاطبة فاقاموا مظلة كبيرة تغطي مساحة واسعة من الارض زرعوا تحتها بزور الاشجار المختلفة لكي ينقلوها حالما تكبر وتصير تحمل ان تزرع وحدها

السماذ والقمح

الشائع ان السماذ يفيد القمح تارة ويضره اخرى . والغالب انه ينمي كثيراً ولكن هذا النمو يقتصر على السوق والاوراق ولا يتناول الحب بل كثيراً ما يهيف القمح اذا كثر خصب ارضه ويأتي من غير حب او يكون حبه صغيراً جداً . ولكن يظهر من تجارب ارباب الزراعة انه اذا كان السماذ نيترات الصودا واعلى فصقات الصودا زاد الخصب وزاد الحب ايضاً اما نيترات الصودا فلا يستعمل الا متى كبر نبات القمح لكي تمنع جذوره فقدان النيترات بماء التصافي اما الفصقات الاعلى فيسمد الفدان بثلاثة قناطير منه تشر على سطح الارض قبل البذر وحينما يعلو القمح ويصير ارتفاعه عشرة سنتيمترات او ١٥ سنتيمتراً عن سطح الارض يمكن ان يضاف اليه قنطار ونصف من نيترات الصودا مخلوطة بمقدار كافٍ من التراب الناعم لكي يسهل توزيعها في الارض واذا سمدت ارض القمح بالفصقات الاعلى والنيترات تكون كلفة الفدان مئة غرش . واذا سمدت بالنيترات فقط واستعمل منه قنطاران فالكلفة ٨٠ او ٨٥ غرشاً وهو مبلغ زهيد يعوّض باكثر من ذلك من زيادة المحصول . واذا زرع القمح بعد القطن او الذرة التي اضيف اليها سباخ بلدي فيكون التسميد بنيترات الصودا كافياً واذا كانت الذرة مسبوخة بسباخ كفري وزرع القمح بعدها فيفيده التسميد بالفصقات الاعلى . ومن المقرر ان نيترات الصودا يفيد الحبوب كالقمح والشعير

وتظهر من الصورتين المقابلتين نتيجة التجارب التي جرت في مصر اظهاراً لتأثير نيترات الصودا في القمح في الصورة العليا القمح البوهي مسمداً بنيترات الصودا وغير مسمداً فالمسمد هو الحزمة الكبيرة في يسار الصورة وغير المسمد الحزمة الصغيرة في يمينها وقد سمّد الفدان بقنطار





درة مسعدة بالنعفات الاعلى وفيترات الدودا انظر صفحہ ٦٩١

ونصف من نيترات الصودا ثمنها ٦٥ غرشاً فزاد القمح ٦ كيلات والتبن حملين ويبلغ ثمن هذه الزيادة ١١ غروش ولم تستهلك كل فائدة السماد من الارض
وفي الصورة السفلى القمح الهندي وقد زاد حبه وتبته كما زاد القمح البوهي. ولا بد من اضافة نيترات الصودا الى الارض قبلما تعلق النبات كثيراً والألّا وقع السماد على اوراقه وسوقه ولا يحصل النفع التام منه الا اذا وصل كله الى الارض. ويجب ان يضاف هذا السماد حينما تجف الارض وقبل ان تروى الريّة الاولى ويستحسن ان يكون التسميد باكراً حتى اذا وقع المطر على السماد غارمعه في الارض ونيترات الصودا تفيد الشعير كما تفيد القمح فيسمد الفدان منه بقنطارين من نيترات الصودا ويمكن ان يسمد بكبريتات النشادر. ويحسن ان يضاف الى السماد قليل من الفسفات الاعلى اذا كانت الارض ضعيفة جداً

تسميد الذرة

الذرة من اكثر المزروعات استفادة بالسماد كما لا يخفى وهي النبات الوحيد الذي يسمد دوماً في هذا القطر. وعيدان الذرة كبيرة وحبيها كثير ونموها سريع فتحتاج الى غذاء كثير واذا لم تجد ما يكفيها في الارض لم تنم كثيراً ولا تنج منها غير حب قليل والمستعمل في القطر المصري السباخ البلدي والسباخ الكفري واذا كان السباخ الكفري جيداً ففائدته للذرة اكبر من فائدة السباخ البلدي وقد ظهر من تجارب الجمعية الزراعية في اراضيها بالجيزة انه اذا زرعت الذرة بعد القمح فستون حملاً من السماد الكفري تقوم مقام مئة وعشرين حملاً من السباخ البلدي وهذا يدل على ان الذرة تطلب ان يضاف الى الارض مادة نيتروجينية تذوب فيها بسهولة اما اذا زرعت الذرة بعد البرسيم فالسباخ البلدي لانتقل فائدته كثيراً عن السباخ الكفري. ثم ان السباخ البلدي يفيد الارض اكثر من السباخ الكفري اي يبقى فيها من الغذاء للنبات بعد الذرة اكثر مما يبقى فيها لو سمدت بالسباخ الكفري ويظهر ذلك اذا زرعت قمحاً بعد الذرة والتسميد بالفوسفات الاعلى يفيد جداً في كثير من الاطيان. ويكون التسميد به قبل وضع البذار فيها اذا كانت مزروعة قمحاً قبل ذلك. ثم يسمد الفدان بقنطارين من نيترات الصودا حينما تعلق الذرة عن سطح الارض. والقمح الذي يزرع بعد الذرة المسمدة بالسباخ البلدي يجود اكثر من القمح الذي يزرع بعد الذرة المسمدة بالسباخ الكفري اذا تساوت بقية الاحوال وترى في الصورة المقابلة صورة غيط من الذرة المسمدة بالفوسفات الاعلى ونيترات الصودا وقف رجل فيه وامسك بيده مقياساً كتبت عليه الامتار فبلغ ارتفاع الذرة ثلاثة امتار وعرائيس هذه الذرة كبيرة جداً وفي العود منها عرنوسان او اكثر

باب المرسلة والمنظرة

قد رأينا بعد الاختيار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتحميلاً للآلام .
ولكن العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن برأى منه كل . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في
الادراج وعدوه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشفقان من اصل واحد فهناظر نذكرك (٢) الغا
الغرض من المناظرة التوصل الى المحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيم كان المعترف باغلاطه اعظم
(٣) خير الكلام ما قل ودل . فالملئالت الوافية مع الاجاز تستفاد علم المطولة

عائشة تيمور

مضى على بنات المشرق قرون لم تنبغ منهن شاعرة او كاتبة الا في ما ندر . ولقد كانت
نسبة النساء الى الرجال في حلبة الادب قليلة دائماً ولكنها لم تكد تنقطع الا في القرون الاخيرة
وهذا غير ما كانت عليه الحال في عز الممالك الاسلامية وغير ما هي عليه الآن في الممالك
الاوربية ولذلك كنت اعجب بالشاعرة المصرية المرحومة عائشة عصمت بنت المرحوم اسمعيل
باشا تيمور وانا في بلاد الشام حتى اذا وصلت هذه الديار قصدت زيارتها فرأيت منها دعة
وعزة ونفس وذكاء وسعة اطلاع وتبصراً وسرعة خاطر . سألتها عن كيف تيسر لها اخذ علوم اللغة
والادب مع تعذر مطالبتها وتشعب مسالكها فقالت لي كان المرحوم ابي ياتيني بجلة المشائخ فأخذ
العلم عنهم من وراء الحجاب وكلما اجتمعوا في مجلسه وتذاكروا في مسائل العلم جلست وراء حجابي
اسمع اقوالهم ومذاكراتهم واكثرت من المطالعة في كتب العلم ودواوين الشعراء من عرب
وفرس الى ان صارت لي ملكة اللغة ونظمت ما نظمت من القصائد والمقاطيع واراني مع ذلك
متطفلة على موائد الادب وما ارتشافي من كؤوس الابداء الا ارواء للنفس التي من علي
الخالق بها

وقد ترددت عليها بعد ذلك فاطلعتني على كثير من منظوماتها وبعض ما كتبتة سجعاً او
ترسلاً وعلى منظومات لها باللغة الفارسية
وكنت اراها ساذجة في لبسها لم ار عليها حلياً ولا حلاً كأنها تحسب ان حلة الادب
تغني عن حلي الذهب

ومن يقف على ديوانها المسمى حلبة الطراز يتبين له من خلال السطور انها كانت واسعة
الاطلاع على الشعر العربي حافظه لكثير منه . وقد رأيت ان اورد بعض ابيات لها في مواضع

مختلفة ليرى القراء مبلغ ما وصلت اليه في فنّ الادب وما حازته من صناعة النظم . من ذلك قصيدتها المشهورة بمطالعها وهو

ييد العفاف اصون عزّ حجابي وبعصمتي اسمو علي اترابي
ومنها وقد اجادت

فجعلتُ مرآتي جبين دفاتري وجعلت من نقش المداد خضابي
كم زخرفت وجنات طرسي انمي بعذار خطّ او اهاب شباب
ومنها ما عاقي خجلي عن العليا ولا سدل الخمار بليتي ونقابي
وقالت في طب الهوى

يا من اتى للجسم بهرئ سقمه ويظن جالينوس بعض عبيده
افنيت بالطب الذي تهذي به امّا وقربت الردى ببيعه
وزعمت انك انت قد جددته ولقد اضعفت قديمه بجديده
وقالت في اثناء رمد

فدا للعين مني كل عين وما في الكون من ذهب وعين
يقلب في دثار السقم جسدي كأنني فوق حجر الحرتين
تخالفت الاساة بطول وعد يعلاي وبأس فيه حيني
وعهدي بامياه حياة نفسي فمالي قد ظمئت بماء عيني
ايت ومؤنسي الخفاش ليلا وحالي معه شر الحاليتين
ينافرن في الضيا فافر منه كأنّ الضوء يطلبني بديني
وقد عفت الاساة وعدت ارجو طيب الكون رب المشرقين

وقالت وقد شفيت من رمد

سفينة العين قد فازت من الغرق واشرقت تزدهي من ساحل الحدق
ومنها تحاطب النور

اهلا بنور عيون راق لي وصفا من بعد ياسي وطول الخوف والفرق
باي قول احبيه وعزته عزت منالا فلم تدرك المستقب
ومن محاسن شعرها ما قالته لاغراض خاصة كقولها وقد كتبت به الى احد اولادها
قليبي ببعذك لم يحمد محاورتي وفرّ نحو حبيب في حشاه ربي
قل لي بطاعتك الغرا وعزتها واحكم كما ترتضي متعت بالارب

من غير قلب اتبقي روح عائشة لا والذي زان هذا المجد بالادب
وقولها وقد عاودها الرمد

فوا اسفي على انسان عيني غدا في سجن سقم واعنقال
حياتي بعد بعدك لا اراها سوى سكرات نزعات ثقال
امس الكتب من شغفي عليها وابلى حسرة من سوء حالي
تمس المصحف الاسمي يميني وقد وضعت على قلبي شمالي
وانشده لايك طال شوقي ومالي غيرها عز ومالي

ولها في فن الموالي ادوار غاية في الرقة منها قولها
ان جزت بالركب يا حادي المطايا عود لبي شذاهم لدع اهل المحبة عود
وانظر متم صبح من هجرهم كالعود وارحم عليل الهوى واردد عليه روحه
ما له سوام بطبه من يجود ويعود

وقولها وهو مما يتغنى به اهل مصر والشام
لمستشار الغرام قدمت اعراضي اني لحكم المحاسن متبع راضي
جمالك اللي محارسي واعراضي طابع اوامر لحاظه ان عدل او جار
قل لي دخيلك على اسباب اعراضي

ومثل ذلك قولها

الله اكبر دعاني الحب للتعذيب وكلما ازداد القى في العذاب تعذيب
يا لائي فيه تأمل كم ترى تهذيب مناقب الحب مسطورة على الوجنات
خنامها المسك مستغني عن التهذيب

هذا وان كان شعرها المنظوم يشف عن اطلاع واسع وحفظ كثير لان اكثر المعاني التي طرفتها
مطروق من قبلها اورده كبار الشعراء على اساليب شتى فائقة في البلاغة والتنميق الا ان ما نظمته
في بعض المواضيع الخاصة وما قالته من الموالي والادوار يدل على قريحة وقادة وخاطر سريع
ونفس زكية تمثل لها المعاني الشعرية فلا يلبث خاطرها ان يحضر الكلمات موزونة الالفاظ محكمة
القوافي ولو سمحت لها عادات المشرق بمطارحة الشعراء ومساجلة العلماء ولو تعلمت لغة اوربية
واطلعت على ما قاله غيرها من شعراء اوربا لابتقت من آثارها اضعاف ما ابقته في حلبة الطراز.
وحبذا لو عني اولادها بتنقيح ديوانها واعادة طبعه و اضافوا اليه ما نظمته بعد نشره مع ترجمة
مسيبة لحالها عسى ان يقتدي كثيرون من ربات الحجاب بها احدي قارئات المقتطف

كرامة قوم

اراكم تذكرون في المقتطف بعض النساء الشهيرات في العلم او الانشاء او الموسيقى او السياسة . الا ان نجاح الامم لا يتوقف على هؤلاء النوادر بل يشترك فيه غيرهن من اللواتي اشتهرن بمكارم الاخلاق حتى صرن قدوة لبنات نوعهن وقوة ما ورثنه من الزكاة والدعة والشفقة حتى تقوى هذه الاخلاق في اولادهن وبذلك ينتفع نوع الانسان اكثر مما ينتفع من كتاب وضع في التربية او رسالة ألقت في الاخلاق . واني التمس لكم عذراً على اغفالكم ترجمات هؤلاء النساء لقلّة ما يعرف عنهن . الا انني اعرف سيدة توفاه الله في هذه الاثناء تشهد سيرتها انها كانت خير قدوة يقتدى بها وهي المرحومة السيدة انجلينا صيني قرينة جناب الوجهه الخواجا ويصا بقطر ابنة الخواجه سلامة الصيني كبير عائلة الصيني من اشهر عائلات اسيوط وجرجا القديمة

لا سبيل لي لاعرف كيف تربت الفقيدة ولا ما هي الاخلاق التي ورثتها عن والديها ولكنني اعرف كما يعرف كل الذين عاشروها انها كانت رضية الخلق منكزة ذاتها الى حد يفوق الوصف فلم تغضب احداً مدى حياتها لا سيداً ولا خادماً ولا قريباً ولا غريباً ولذلك اجمع خدمها على حبها وكل الذين عرفوها على اكرامها عدا ما كانت تلقى من اهل بيتها من الحب والاکرام . واخلق الرضي خير الاخلاق وبه تصير الارض سماءً والحياة سعادة . وكل نجاح غير مصحوب بخلق رضي لا يزيل غصص الحياة ولا يحلّ مرارتها . والصحة نفسها من غير خلق رضي تلقى صاحبها في المشاكل والغموم

هذا هو الخلق الاول الذي اشتهرت به . واخلق الثاني عقلي وهو شدة ذكائها واصالة رأيها فان ذويها كانوا يستشيرونها في امورهم فتشور عليهم بالرأي الصواب . والذكاء هو من الاخلاق التي تشتهر بها النساء عادةً لكنه كان فيها على اشدّه

وكانت مع ذكاء عقلها وطيب اخلاقها كريمة رقيقة القلب تتصدق على الفقراء سرّاً وجهراً وتجوّد بكل ما تصل اليه يدها من النقود وكان الفقراء يعدونها امّاً شفوقة فلما توفاه الله سار النساء المسكينات وراء نعشها يبكينها بدموع سخينة ويندبن خسارتهن بموتها

واذا اتّصف الانسان بقوة العقل ورضي الاخلاق ورقة القلب لا يبقى بينه وبين الكمال الذي نطمح بالحصول عليه في هذه الدنيا الا ان يكون حسن التدبّر شديد الثقة بخالقه يقابل متاعب الحياة بايمان وطيد حاسباً ان زمان تجربته قصير وانه ينال راحة ابدية بعد الموت وهذا كان شأن الفقيدة الفاضلة . مرضت منذ عشرين عاماً مرضاً عضالاً قال الاطباء انها لا تشفى منه

فاخذ اولادها بكون وينوحون اما هي فكانت تعتقد حينئذ ان اجلها طويل فلما تمهم على بكائهم وحقق الله اعتقادها فشفيت بعد قليل

ثم اصببت بالداء الاخير الذي توفيت به داء السرطان الذي عجز الاطباء حتى الآن عن اكتشاف دواء شاف له فعملت ان اجلها قد دنا وصارت تطلب من الله ان يسرع انتقالها اليه فلي طلبها وذهبت مبكية من زوجها واولادها واصهارها وكل الذين عرفوها

لم توالف فقيدتنا كتباً في علم الحساب والفلك والطبيعات ولا اكتشفت اكتشافات علمية ذات شأن ولا اشتهرت في الاندية العلمية والادبية مثل بعض اللواتي ورد ذكرهن في المقتطف ولكنها امتازت بهذه الاخلاق الفاضلة وافادت ابناؤه نوعياً بقدرتها وصدقاتها وربت اولاداً رجالاً ونساءً تفخر بهم الهيئة الاجتماعية الشرقية وهذا ما حدا بي الى كتابة هذه السطور لتتشر في مجلة المقتطف . وقد كانت وفاتها في الثالث من شهر يونيو الجاري

احد المشتركين

اسيوط

العصبي

العصبي كلمة اصطلح عليها السيدات للدلالة على كل ضعف عصبي مهما كان سببه ومهما كانت اعراضه

والضعف العصبي شائع جداً بين نساء المدن وهو قليل بين نساء الارياف اللواتي يساعدن رجالهن في اعمال الزراعة المختلفة لانهن لا يشتغلن اشغالا تثعب اعصابهن وتضعفهن بل لان اعصابهن قوية تحتمل التعب من غير الم وهي مثل سائر اعضائهن من هذا القبيل فكما ان المرأة المدنية المترفة لا تستطيع ان تمشي نصف ساعة من غير ان تشعر بتعب شديد والمرأة الفلاحية تمشي خمس ساعات ولا تشعر بالتعب كذلك المرأة المدنية المترفة تثعب اعصابها لاقل عمل والمرأة القروية الفلاحية لا تشعر اعصابها بالتعب ولو اشتغلت ساعات متوالية ويظهر التعب العصبي في ان ضربات القلب لا تعود منتظمة والتنفس يصير قصيراً ولا يعود العقل ينصب على موضوع واحد بسهولة ويكثر القلق والام بعد الاكل . وما اشبه من الاعراض التي تشكو منها النساء المصابات بالضعف العصبي

وتعود دقائق الاعصاب الى حالها الطبيعية من الصحة والقوة بالراحة والغذاء الجيد وهي تنال هذه الراحة وهذا الغذاء مدة النوم ولكن اذا اشتد الضعف العصبي امتنع النوم اوفلاً كثيراً فلم تعد دقائق الاعصاب تستريح الراحة الكافية

واذا بلغ الضعف العصبي هذا المبلغ حتى قلَّ النوم وزاد القلق صارت المرأة تستصعب الاعمال التي كانت تستسها وتنفرد بها كانت تسرُّ به . واخيراً تضطر ان تنقطع عن كل اعمالها رغماً عنها بسبب ضعف اعصابها ولا تشفى من هذا الضعف الا اذا استراحت راحة تامة مدة طويلة واعنت بصحتها وغذائها اعتناءً خاصاً

واسباب الضعف العصبي كثيرة اولها الميل الوراثي فاذا كان احد الوالدين ضعيف الاعصاب او كانا كلاهما ضعيفي الاعصاب فالغالب ان اولادها يكونون ميالين الى الضعف العصبي او يكون الميل فيهم الى الضعف العصبي اشد مما هو في المولودين من آباء لا مرض عصبي فيهم . وكذلك اذا كان احد الوالدين او كلاهما من مدمني المسكرات او من المصابين بالسل او بالزهري فان اولادهم يكونون معرضين لضعف الاعصاب اي تكون اعصابهم ضعيفة من اصلها لا تحتمل التعب الشديد والشغل الكثير وقوة التجديد فيهم ضعيفة فاذا تلفت دقائق اعصابهم من كثرة العمل لم تبدل بدقائق جديدة بسهولة

والسبب الثاني الصدمات الشديدة وهذه الصدمات قد تكون فجائية فتضعف الاعصاب كأنها تمزقها او تمزق بعضها كما ترى في الامثلة التالية

(١) كان رجل كهل سائراً هو وزوجته في سكة الحديد فاصيب القطار بجادث قتل به بعض الركاب وجرح بعضهم اما الرجل وزوجته فظهر انهما لم يصابا بمكره وخرجا من القطار ودخلا منزلاً ليستريحا فيه وناما ليلتهما ونهض الرجل في الصباح ولبس ثيابه وخرج من الغرفة لينزل الى الطبقة السفلى ويأمر الخدم بتهيئة الفطور له ولزوجته لكنه جلس على اعلى السلم وجعل يبكي كالطفل ثم تبين ان اعصابه ايفت فصار يخشى من كل فراغ يراه امامه على اثر الصدمة التي اصابته وقت اصطدام القطار

(٢) امرأة كانت مسافرة في بلاد النمسا فدخل القطار بها سرباً مظلماً بغتة فتأثرت اعصابها من جراء ذلك واعنت بصحتها وداعت شركة سكة الحديد مدعية انه لو كانت المركبات منارة ما اصابها ذلك الخلل فختم القضاء انها محقة في طلبها وحكموا لها باربعة مئة جنيه تعويضاً ومعايش سنوي مدى حياتها

(٣) رجل كان مسافراً في بلاد الانكليز فحادثت المركبة التي كان فيها عن الخط لكنه لم يشعر بشيء على ما ظهر له في اول الامر ثم وجد في اليوم التالي انه مصاب بضعف عصبي شديد ولا يستطيع ان يسافر في قطار سريع ولا سبب لذلك الا الصدمة العصبية التي حدثت له ثم اذا كان الضغط على الاعصاب متدرجاً فهو حاصل في الغالب من كثرة الاشتغال ولا سيما

إذا كان الشغل في موضوع لا يلتدّ به الانسان

ومن هذا القبيل قلق البال سواء كان بسبب عدم النجاح في الاشغال او بسبب الحب او بنحو ذلك من الاسباب فإنه كله يضعف الاعصاب وينهكها والشغل الكثير لا يتعب الناس كلهم على حدّ سوى فبعض الناس يشتغلون ساعات كثيرة كل يوم ولا يتعبون كما يتعب غيرهم ولو اشتغل ساعات قليلة لان اعصابهم تستردّ قوّتها حالاً حتى انهم اذا ناموا دقائق قليلة نهضوا وقد انتعشت قواهم كما تنتعش قوى غيرهم بنوم ساعات عديدة

قيل ان بلزك الكاتب الفرنسي الشهير كان يشتغل ثماني عشرة ساعة متوالية كل يوم لا يستريح فيها الاّ دقائق قليلة لتناول الطعام وكان طعامه حينئذٍ فنجاناً من القهوة ويقال انه كتب رواية من رواياته في جلسة واحدة والشغل الكثير لا يضرّ الانسان ما دام في سن الشباب وعنفوان القوّة ولكن اذا اكتمل او شاخ منه ضرر كثير ويظهر ضرره اولاً بالقلق وسوء الهضم واضطراب فعل القلب وفقد الذكرة كأن من يسرع في حياته يسرع في صرم جيلها وعليه ألف بلزك ٨٥ رواية في عشرين سنة لكنه مات في السنة الخمسين من عمره

وقد شاع الآن مع تعليم البنات اغراؤهن بنيل الشهادات العليا التي تقتضي الدرس الكثير فينهكنّ قواهنّ العقلية والبدنية في الدرس والسمهر والصوم ويخرجن من هذا الميدان بالشهادات المدرسية ولكنهنّ يضعن صحّة ابدانهنّ وقوّة عقولهنّ

ولا يقف الشرّ عند هذا الحد بل ان كثيرات من المصابات بالضعف العصبي يحاولنّ شفاه بما يوجب الضعف الدائم ولو سكنّ الالم الوقي كالمسكرات والمخدرات ولا سيما المورفين والكوكايين وقد عدّ السيدات اللواتي يتعاطين المورفين حقناً تحت الجلد في مدينة باريس منذ عشر سنوات فوجد عددنّ مئة ألف وهذا من شرّافات التمدن الحديث . ويتلوّه في الضرر الاكثار من شرب الشاي والقهوة لتسكين الاعصاب

وعلاج الضعف العصبي على نوعين واقٍ وشافي اما العلاج الواقٍ فينبّه له من الصغر في اولاد المعرضين للضعف العصبي فيقلّل درسهم ويعودّون ترويض ابدانهم في الخلاء ترويضاً معتدلاً لان الترويض المتعب ينهك الاعصاب كالشغل العقلي الشاق . ولا بدّ لم من النوم الكثير ثماني ساعات في اليوم على الاقل اما العلاج الشافي فيقوم بحسن التغذية وتكثير النوم فتغذى المرأة المصابة بالضعف العصبي

بشرب اللبن الكثير واكل الخبز المبلول به وتمنع عن السهر وتغنى من مقابلة الزوار وترسل الى مزرعة او ابعديـة بعيدة عن المدن وتطعم الطعام المغذي وتمنع من الاشغال العقلية على قدر الامكان وهذا قد لا يغني عن معالجة الاطباء

البخـر

البخـر من اقبح الادواء ولو لم تكن عواقبه وخيمة . وسببه الاصيلي في بنية الانسان ولكن له اسباب اخرى مهيئة وهي ضعف الغشاء المخاطي الذي يبطن الفم والحلق والمعدة فانه اذا كان هذا الغشاء ضعيفاً لم يطرح الدقائق التي تعلق منه بسهولة لتجديد غيرها . وبقاء الطعام في المعدة غير مهضوم . ويعالج بتنظيف الفم جيداً من فضلات الطعام واصلاح الهضم باخذ مسهل خفيف مثل درهمين او ثلاثة من الملح الانكليزي مذابة في ملعقتين من ماء الكافور ويحسن ان تذاب ١٥ قحـة من كلورات البوتاسا في ثمانية دراهم من الماء وتؤخذ جرعتين في النهار

مدرسة طرابلس الشام الاميركية

مرّ على هذه المدرسة اكثر من ربع قرن وهي تقدم الى الوطن العزيز في كل ربيع طاقة من المتهذبات تزين بهنّ سورية ومصر زينة دائمة . وقد احتفلت حسب عاداتها هذا العام بمنح الشهادات . فوفد المدعوون من كل النواحي الى محفلها مساء الثاني من ايار (مايو) . ولما استوى بهم المجلس ساد السكون وتحركت النفوس طرباً عند سماع نغم بعيد منعش كان يدنو رويداً رويداً حتى انتهى الى باب المحفل فظهرت تليذات المدرسة على ترتيب بديع يترننّ وهنّ سائرات . ووراءهنّ المنتهيات بملابسهنّ البيضاء وبعد ان افتتح الاحتفال بالصلاة القت المنتهيات خطبهنّ وهنّ الاوانس اسما زرعوني استهلّت بقصيدة وخطبت في " الفن المهمل " ولورتا لاذقاني في " الادب " . وفكتوريا كاتسفليس في " اليد الفاضلة " . وزكية غراب في " التمدن الحقيقي " . ومرثا عطية في " كتاب عجيب " . واسما صيبه في " ساحة الحرب " وختمت خطبتها بالوداع المؤثر . وتلاهـنّ القس الفاضل وليم ادي بخطاب نفيس موضوعه اقتدار الشخص الواحد . ثم وزعت رئيسة المدرسة الشهادات وختم الاحتفال بترنيمة وداعية ومساء الاحد التالي غصّ المحفل بالمدعوين لاستماع العظة البكورية التي قدمها استاذ المدرسة جرجس افندي الخوري ومضمونها ارشادات للمنتهيات في حياتهنّ المستقبلية وخرج الناس يدعون بنجاح بيوت العلم

نجيب خوري

ثابت بن قرة الحرافي

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

بينما كنت اطالع في مذكرة رياضية فرنسية شاملة لكثير من قوانين الحساب والجبر والهندسة وحساب المثلثات والميكانيكا لـ دوبيوي (J. Dupuis) وجدت القانونين الآتين

$$2^n (3 \cdot 2^n - 1) (3 \cdot 2^{n-1} - 1)$$

$$2^n (9 \cdot 2^{n-1} - 1).$$

قال المؤلف ان واضعها هو الرياضي العربي الشهير ثابت بن قرة الذي عاش في اواخر القرن التاسع وانهما منقولان الى الفرنسية عن كتاب له في علم الحساب . وحيث لم اعلم للآن ان لهذا الرياضي العربي مؤلفات مطبوعة ولا كتب رياضية مترجمة عنه فقد حررت لحضرتكم هذه السطور على امل ان تمنوا علي بعد البحث الدقيق بذكر هذه المؤلفات لاسيما ما كان منها متعلقاً بنوع خصوصي بالري وفن العارة وكيفية اقتنائها وذلك في العدد المقبل من مجلتكم الغراء هذا ولكم مني جزيل السلام ووافر الشكر سلفاً

مصطفى بهجت هدايت

مهندس بقسم مشروعات الري بالبنيا

(المقتطف) لثابت بن قرة الحرافي الفلسفي كتب كثيرة تعد بالمئات لا كتاب منها في المكتبة الخديوية ولا نتذكر الآن اننا رأينا كتاباً منها ولكننا لا نظن ان فيها كتباً في فن الري والعارة . وقد ذكر ابن ابي اصيبعة ترجمة ثابت ابن قرة في كتابه عيون الانبا ولا بأس بنشر بعضها هنا ليعلم مقدار اجتهاد الاولين قبل ان شغلوا بما لا طائل تجتة قال

ابو الحسن ثابت بن قرة الحرافي كان من الصابئة المقيمين بجران ويقال الصابئون وثابت هذا هو ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت بن كرايا بن ابراهيم بن كرايا بن مارينوس بن سالايونوس وكان صيرفيًا بجران ثم استصحب محمد بن موسى لما انصرف من بلد الروم لانه رآه فصيحاً وقيل انه قرأ على محمد بن موسى فتعلم في داره فوجب حقه عليه فوصله بالمعتضد وادخله في جملة النجيمين وهو اصل ما تجدد للصابئة من الرئاسة في مدينة السلام وبحضرة الخلفاء . ولم يكن في زمن ثابت بن قرة من يماثله في صناعة الطب ولا في غيره من جميع اجزاء الفلسفة وله تصانيف مشهورة بالجودة وكذلك جاء جماعة كثيرة من ذريته ومن اهله يقاربونه فيما كان عليه من حسن التخرج والتمهر في العلوم . ولثابت ارضاد حسان للشمس تولاهما ببغداد وجمعها في كتاب بين فيه مذهبه في سنة الشمس وما ادركه بالرصد في موضع اوجها ومقدار

سنيها ومكية حركاتها وصورة تعديلهما . وكان جيد النقل الى العربي حسن العبارة وكان قوي المعرفة باللغة السريانية وغيرها . وقال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة ان الموفق لما غضب على ابنه ابي العباس المعتضد بالله حبسه في دار اسمعيل بن بلبل وكان احمد الحاجب موكلاً به وتقدم اسمعيل بن بلبل الى ثابت بن قرة بان يدخل الى ابي العباس ويؤنسه وكان عبدالله بن اسلم ملازماً لابني العباس فأنس ابو العباس بثابت بن قرة أنساً كثيراً وكان ثابت يدخل اليه الى الحبس في كل يوم ثلاث مرات يحادثه ويسليه ويعرفه احوال الفلاسفة وامر الهندسة والنجوم وغير ذلك فشغف به ولطف منه محله فلما خرج من حبسه قال لبدر غلامه يا بدر اي رجل افدنا بعدك فقال من هو يا سيدي فقال ثابت بن قرة . ولما نقلد الخلافة اقطعته ضياعاً جليلاً وكان يجلسه بين يديه كثيراً بحضرة الخاص والعام ويكون بدر الامير قائماً والوزير وهو جالس بين يدي الخليفة . قال ابو اسحق الصائغ الكاتب ان ثابتاً كان يمشي مع المعتضد في الفردوس وهو بستان في دار الخليفة . للرياضة وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت وهما يتماشيان ثم نثر المعتضد يده من يد ثابت بشدة ففزع ثابت فان المعتضد كان مهيباً جداً فلما نثر يده من يد ثابت قال له يا أبا الحسن (وكان في الخلوات يكنيه وفي الملا يسمى) سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت عليها وليس هكذا يجب ان يكون فان العلماء يعلون ولا يعلون وكان مولد ثابت بن قرة في سنة احدى عشرة ومائتين بجران في يوم الخميس الحادي والعشرين من صفر وتوفي سنه ثمان وثمانين ومائتين وله من العمر سبع وسبعون سنة . وقال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة كانت بين ابي احمد يحيى بن علي بن يحيى بن النجم النديم وبين جدي ابي الحسن ثابت بن قرة رحمه الله مودة أكيدة ولما مات حدي في سنة ثمان وثمانين ومائتين رثاه ابو احمد بايات هذه هي

ألا كل شيء ما خلا الله مئت	ومن يغترب يرج ومن مات فئت
ارى من مضى عناً وخيم عندنا	كسفر ثووا ارضاً فسار وبئت
نعينا العلوم الفلسفيات كلها	خبانورها اذ قيل قد مات ثابت
واصبح اهلها حيارى لفقد	وزال به ركن من العلم ثابت
وكانوا اذا ضلوا هدام لنهجها	خبير بفصل الحكم للحق ناكث
ولما اناه الموت لم يغف طبه	ولا ناظق ممأ حواه وصامت
ولا امتعته بالغنى بفتة الردي	ألا رب رزق قابل وهو فئت
فلو انه استطاع للموت مدفع	لدافعه عنه حماة مصالت

ثقة من الاخوان يصفون وده
ابا حسن لا تبعدن وكلنا
أأمل ان تجلي عن الحق شبهة
وقد كان يسر وحسن تبينك العمى
كأنك مسئولا من البحر غارف
فلم يتفقدني من العلم واحد
وكم من محب قد افدت وانه
تهذبت حتى لم يكن لك مبغض
وبرزت حتى لم يكن لك دافع
مضى علم العلم الذي كان مقنعا
فلم يبق الا مخطى متهافت

وكان من تلامذة ثابت بن قرة عيسى بن اسيد النصراني وكان ثابت يقدمه ويفضله
وقد نقل عيسى بن اسيد من السرياني الى العربي بحضرة ثابت ويوجد له كتاب جوابات ثابت
لسائل عيسى بن اسيد

ولابي الحسن ثابت بن قرة الحارثي من الكتب كتاب في سبب كون الجبال . مسأله
الطبية . كتاب في النبض . كتاب وجع المفاصل والنقرس . جوامع كتاب بارمينياس .
جوامع كتاب اناولوطيقا الاولى . اختصار المنطق . نوادر محفوظة من طويقا . كتاب في السبب
الذي من اجله جعلت مياه البحر مالحة . اختصار كتاب مابعد الطبيعة . مسأله المشوقة الى العلوم .
كتاب في اغاليط السوفسطائيين . كتاب في مراتب العلوم . كتاب في الرد على من قال ان النفس
مزاج . جوامع كتاب الادوية المفردة لجالينوس . جوامع كتاب المرة السوداء لجالينوس . جوامع
كتاب سوء المزاج المختلف لجالينوس . جوامع كتاب الامراض الحادة لجالينوس . جوامع كتاب
الكثرة لجالينوس . جوامع كتاب تشريح الرحم لجالينوس . جوامع كتاب جالينوس في المولودين
لسبعة اشهر . جوامع ما قاله جالينوس في كتابه في تشريف صناعة الطب . كتاب اصناف
الامراض كتاب تسهيل المجسطي . كتاب المدخل الى المجسطي . كتاب كبير في تسهيل المجسطي
لم يتم وهو اجود كتبه في ذلك . كتاب في الوقفات التي في السكون الذي بين حركتي الشريان
المتضادتين مقالتان (صنف هذا الكتاب سريانياً لانه اوماً فيه الى الرد على الكندي ونقله
الى العربي نليذه يعرف بعيسى بن اسيد النصراني واصح ثابت العربي وذكر قوم ان الناقل
لهذا الكتاب حبش بن الحسن الاعسم وذلك غلط وقد رد ابو احمد الحسين بن اسحق بن

ابراهيم المعروف بابن كرنيب علي ثابت في هذا الكتاب بعد وفاة ثابت بما لا فائدة فيه ولا طائل وهذا الكتاب انفعه لما صنفه الى اسحق بن حنين فاستحسنه استحسنًا عظيمًا وكتب في آخره بخطه يقرض ابا الحسن ثابتا ويدعو له ويصفه). جوامع كتاب القصد لجالينوس. جوامع تفسير جالينوس لكتاب ابقراط في الاهوية والمياه والبلدان. مقالة كتاب في العمل بالكرة. كتاب في الحصى المتولد في الكلى والمثانة. كتاب في البياض الذي يظهر في البدن. كتاب في مسألة الطبيب للمريض. كتاب في سوء المزاج المختلف. كتاب في تدبير الامراض الحادة. رسالة في الجدري والحصبة. اختصار كتاب النبض الصغير لجالينوس. كتاب في قطع الاسطوانة. كتاب في الموسيقى. رسالة الى علي بن يحيى النجم فيما امر باثباته من ابواب علم الموسيقى. رسالة الى بعض اخوانه في جواب ما سألته عنه من امور الموسيقى. كتاب في اعمال ومسائل اذا وقع خط مستقيم على خطين. مقالة اخرى له في ذلك. كتاب في المثلث القائم الزاوية. كتاب في الاعداد المتحابة. كتاب في الشكل القطاع. كتاب في حركة الفلك. كناشه المعروف بالذخيرة الفقه لولده سنان بن ثابت. جوابه لرسالة احمد بن الطيب اليه. كتاب في التصرف في اشكال القياس. كتاب في تركيب الافلاك وخلقتها وعددها وعدد حركات الجهات لها والكواكب فيها ومبلغ سيرها والجهات التي تتحرك اليها. كتاب في جوامع المسكونة. كتاب القرسطين. رسالة في مذهب الصابئين ودياناتهم. كتاب في قسمة الارض. كتاب في الهيئة. كتاب في الاخلاق. كتاب في مقدمات افليدس. كتاب في اشكال افليدس. كتاب في اشكال المجسطى. كتاب في استخراج المسائل الهندسية. كتاب رؤية الالهة بالجنوب. كتاب رؤية الالهة من الجداول. رسالة في سنة الشمس. رسالة في الحجة المنسوبة الى سقراط. كتاب في ابطاء الحركة في فلك البروج وسرعتها وتوسطها بحسب الموضع الذي يكون فيه من الفلك الخارج المركز. جواب ما سئل عنه عن البقراطيين وكم مبلغ عددهم. مقالة في عمل شكل مجسم ذي اربع عشرة قاعدة تحيط به كرة معلومة. مقالة في الصفرة العارضة للبدن وعدد اصنافها واسبابها وعلاجها. مقالة في وجع المفاصل. مقالة في صفة كون الجنين. كتاب في علم ما في التقويم بالممتحن. كتاب في الاظلال. كتاب في وصف القرص. كتاب في تدبير الصحة. كتاب في محنة حساب النجوم. كتاب تفسير الاربعة. جوامع كتاب النبض الكبير لجالينوس. كتاب الخاصة في تشريف صناعة الطب وترتيب اهلها وتعزير المنقوصين منهم بالنفوس والاخبار ان صناعة الطب اجل الصناعات كتب به الى الوزيرا بنى القاسم عبيدالله بن سليمان. رسالة في كيف ينبغي ان يسلك الى نيل المطلوب من المعاني الهندسية. ذكر آثار

ظهرت في الجو واحوال كانت في الهواء بما رصد بنو موسى وابو الحسن ثابت بن قرة. اختصار كتاب جالينوس في قوى الاغذية. ثلاث مقالات مسائل عيسى بن اسيد لثابت بن قرة واجوبتها لثابت. كتاب البصر والبصيرة في علم العين وعللها ومداداتها. المدخل الى كتاب اقليدس وهو في غاية الجودة. كتاب المدخل الى المنطق. اختصار كتاب حيلة البرء لجالينوس. شرح السماع الطبيعي مات وما تممه. كتاب في المربع وقطره. كتاب فيما يظهر في القمر من آثار الكسوف وعلاماته. كتاب في علة كسوف الشمس والقمر عمل أكثره ومات وما تممه. كتاب الى ابنه سنان في الحث على تعلم الطب والحكمة. جوابان عن كتابي محمد بن موسى بن شاكر اليه في امر الزمان. كتاب في مساحة الاشكال المستطحة وسائر البسط والاشكال. كتاب في ان سبيل الاثقال التي تعلق على عمود واحد منفصلة هو سبيلها اذا جعلت ثقلاً واحداً مبنوياً في جميع العمود على تساوي. كتاب في طبائع الكواكب وتأثيراتها. مختصر في الاصول من علم الاخلاق. كتاب في آلات الساعات التي تسمى رخامات. كتاب في ايضاح الوجه الذي ذكر بطليموس ان به استخراج من تقدمه مسيرات القمر الدورية وهي المستوية. كتاب في صفة استواء الوزن واختلافه وشرائط ذلك. جوامع كتاب نيقوماخس في الارتماتيقي. مقالان اشكال له في الحيل. جوامع المقالة الاولى من الاربع لبطليموس. جوابه عن مسائل سأله عنها ابو سهل النوبختي. كتاب في قطع المخروط المكافي. كتاب في مساحة الاجسام المكافية. كتاب في مراتب قراءة العلوم. اختصار كتاب ايام البحران لجالينوس. ثلاث مقالات اختصار كتاب الاسطقسات لجالينوس. كتاب في اشكال الخطوط التي يمر عليها ظل المقياس. مقالة في الهندسة فيها لاسماعيل بن بلبل. جوامع كتاب جالينوس في الادوية المنقية. جوامع كتاب الاعضاء الالمة لجالينوس. كتاب في العروض. كتاب فيما اغفله ثاون في حساب كسوف الشمس والقمر. مقالة في حساب خسوف الشمس والقمر. كتاب في الانواء ما وجد من كتابه في النفس. مقالة في النظر في امر النفس. كتاب في الطريق الى اكتساب الفضيلة. كتاب في النسبة المؤلفة. رسالة في العدد الوفق. رسالة في تولد النار بين حجرين. كتاب في العمل بالمتحن وترجمته ما استدركه على حبش في المتحن. كتاب في مساحة قطع الخطوط. كتاب في آلة الزمر. كتب عدة له في الارصاد عربي وسرياني. كتاب في تشریح بعض الطيور واظنه مالك الحزين. كتاب في اجناس ما تقسم به الادوية صنف بالسرياني. كتاب في اجناس ما تنقسم اليه الادوية بالسرياني. كتاب في هجاء السرياني واعرابه. مقالة في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية. اصلاحه

للمقالة الاولى من كتاب ابولونيوس في قطع النسب المحدودة وهذا الكتاب مقالتان اصلح ثابت الاولى اصلاً جيداً وشرحها ووضحها وفسرها والثانية لم يصلحها وهي غير مفهومة . مختصر في علم النجوم . مختصر في علم الهندسة . جوابات عن مسائل سأل عنها المعتضد كلام في السياسة . جواب له عن سبب الخلاف بين زيح بطليموس وبين المعتضد . جوابات له عن عدة مسائل سأل عنها سند بن علي . رسالة في حل رموز كتاب السياسة لافلاطون . اختصار القاطيغوريوس

والغريب من امر هذه الكتب اننا لم نجد منها كتاباً في المكتبة الخديوية وهي من اوسع المكتبات العربية فهل فقدت كلها او تفرقت في مكاتب المشرق او نقلت الى مكاتب اوربا . ويظهر من اسمائها ان علماء المشرق كانوا في صدر الاسلام يترجمون كتب الفلسفة والعلوم الرياضية والهندسية والقطوع المخروطية ويشرحونها ويعلمونها في مدارسهم وعلماء المشرق الآن لا يفهمونها لو قراوها

اغنى اغنياء الدنيا

حضرة الاستاذين الفاضلين منشي المقتطف

قلتم في الجزء الخامس من المقتطف تحت عنوان ارباب المال والاعمال انكم كنتم تظنون ان المستر ركفلر الاميركي هو اغنى اغنياء الدنيا ثم اتضح لكم ان المستر روبنصن الانكليزي اغنى منه . ولما كنتم قد اطلعت اخيراً على احصاء جديد في هذا الموضوع احببت ان اطلع قراء المقتطف عليه فاقول : ان اغنى اغنياء الدنيا حقيقة كان لي هنغ تشنغ السياسي الصيني الشهير الذي كان يمتلك ١٢٠ مليوناً من الجنيهات اكتسبها من مزارعه الواسعة وحقوقه الكبيرة ثم يليه في الثروة المسترييت الانكليزي الذي يمتلك نصف مناجم افريقية الجنوبية وتبلغ ثروته ١٠٠ مليون من الجنيهات ويليهما في ذلك المستر روبنصن الانكليزي وتبلغ ثروته ٨٠ مليوناً من الجنيهات ثم المستر ركفلر الاميركي صاحب معامل زيت البترول ويمتلك ٦٠ مليوناً ثم البرنس ديميدوف الروسي والمستر كارنيي الاميركي وثروة كل منهما ٤٠ مليوناً ثم المستر مورغان والمستر فاندربلت والمستر وليم ركفلر وكل منهم يمتلك من ٢٥ الى ٣٠ مليوناً

حلولان

عبد الحميد فهم

(المقتطف) حبذا لو ذكر حضرة الكاتب المكان الذي وجد فيه هذا الاحصاء ان كان

غير تقويم المؤيد

باب المسائل

فمنا هذا الباب منذ أول انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا نخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) أن يمضي مسألة باسمه والفايه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل النصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر لنا ويعين حروفاً تخرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اعملناه لسبب كافٍ

امامهم شخص و اشار اليهم اشارات متكررة على نسق واحد او اذا اعتادوا هذا النوم واعتقدوا ان هذا الشخص اتى لتنويمهم. الا ان عدد الذين ينامون كذلك قليل نحو خمسة في المئة من مجموع الناس وهم في الغالب من ضعاف الاعصاب. ويستطيع المنوم ان يؤثر في المنوم بان يأمره بقوله افعَل كذا فيفعل او لا تفعل كذا فلا يفعل واذا طلب منه ان يفشي له سراً من اسرارهِ فالغالب انه يفشي له ولكن ارادة المنوم تكون ضعيفة جداً فيتأثر من سؤال المنوم ويجيبه حسبما يقتضيه السؤال ولو كان الجواب غير صحيح. ولا تستعمل الحكومات التنويم لكشف الاسرار مع ان بعضها قصد ذلك مرة لان الذين ينامون النوم المغنطيسي قلال جداً كما تقدم ولا نهم قد يجيبون على هوى السائل لا على ما يطابق الحقيقة. ويتوهم البعض ان المنوم يكتشف اسرار غيره وهذا خطأ والحقيقة انه يفشي اسرار نفسه واما اسرار غيره فان لم يكن يعرفها فالتنويم لا يجعله يعرفها

(١) العنب والرمان والورد من البذر
القيوم. اديب افندي حنا. زرعت بذر العنب والرمان والورد فنبت وصار طول نباته عشرة سنتمرات فهل يكبر ويزهر ويثمر
ج انه يكبر ويزهر ويثمر ولكن ثمر العنب يكون صغيراً في الغالب وهو ما يسمى بالعنب البري ويحتمل ان ينبت من بعضه دوالٍ عنها جيد ولكن ذلك نادر ولا بد من تطعيم دوالي البزر بنوع جيد من العنب حتى يصير عنها جيداً. اما الورد فالغالب انه يأتي مثل اصله وكذلك الرمان

(٣) التنويم المغنطيسي

المنيا. يعقوب افندي دوغان. هل التنويم المغنطيسي (الهبنوزم) صحيح وهل يمكن للمنوم ان يؤثر في المنوم ويطلع منه على اسرارهِ واذا كان ذلك ممكناً فلماذا لا تستعمله الحكومات لكشف الاسرار التي تهمها معرفتها
ج التنويم المغنطيسي او الاستهواء صحيح اي ان بعض الناس ينامون اذا حدقوا بنظرهم الى شيء لاعم امامهم او اذا وقف

(٢) شروط السلم

الزقازيق . امين افندي ابراهيم . هل
نشرت شروط صلح البوير مع الانكليز وما هي
ج الأولى ان يقال شروط تسليم البوير
للالانكليز وقد نشرناها في صدر هذا الجزء

(٤) كتاب الفلسفة العقلية

ومنه . ما احسن كتاب وضع في الفلسفة
العصرية باللغة العربية وفي اي مكان يباع
ج الظاهر انكم تريدون الفلسفة العقلية
واذا كان الامر كذلك فلا نعرف كتاباً فيها
بالغة العربية احسن من الكتاب الذي وضعه
استاذنا الدكتور دانيال بلس رئيس المدرسة
الكلية وهو يباع في المطبعة الاميركية في
بيروت

(٥) البلغم والمخدنون

مضر . الخواجه نجيب جرجوره . ان
اكثر شارب الدخان مصابون بالسعال ويشد
على بعضهم ذلك صباحاً ويتبع السعال بصاق
مصحوب بالبلغم فهل هذا البلغم مسبب عن
شرب الدخان او هو شيء موجود والتدخين
يفيد الانسان باخراجه منه

ج من المعلوم ان التدخين يسبب
نزلة صدرية احياناً والتهاباً في غشاء الحلق
المخاطي وذلك يدعو الى افراز البلغم وافرازه
فعل حيوي لدفع اذى جسم غريب عن
الجسم فانه اذا وقع على الغشاء المخاطي جسم

صغير غريب يهيجهُ افراز المخاط لكي يغلفهُ به
ويمنع ضرره . فافراز المخاط فعل قسري لدفع
الاذى عن الجسم

(٦) رائحة عقب السيكرة

ومنه . حينما يرمى عقب السيارة ويبقى
مشتعلاً يصعد من دخانه رائحة كريهة حتى
ان المدخنين انفسهم لا يحتملونها مع انها
وهي في يدهم قبل القائها لا يكون لها هذه
الرائحة فما سبب ذلك

ج لقد بالغتم في كراهة الرائحة التي
تصعد من عقب السيكرة والذي نراه ان
رائحتها تكون شديدة لان جانباً كبيراً من
النيكوتين ونحوه من المواد التي تخرج منها
وهي مشتعلة يجتمع في عقبها حتى اذا وصلت
النار اليه ولم يعد له مجتمعاً آخر يصعد في الهواء
ولم نكن نظن ان شارب التبغ يكرهون رائحته .
اما اشتداد الرائحة اذا رمي العقب على الارض
فان صحح فسيبهُ ان الاشتعال البطيء يزيد
تولد بعض الغازات والاشتعال السريع
يحرقها فلا تظهر لها رائحة

(٧) جمال الانكليز

ومنه . نرى اكثر شبان الانكليز ذوي
وجوه جميلة وقوام معتدل وليس نساؤهم كذلك
اي ان اكثرهن غير حسان المنظر وهن
نحيلات الجسم فهل لذلك من سبب طبيعي
ج المشهور ان نساء الانكليز اجمل
الاوربيات منظرًا . امّا من حيث اعتدال قامته

منذ ٧٢ ألف سنة . وفي التوراة ان من الخليقة الى مجيء المسيح ٤٠٠٤ سنين فقط فكيف ذلك
ج لا يقال في التوراة ان من الخليقة الى مجيء المسيح ٤٠٠٤ سنين بل هذا حساب لبعض الناس اعنقدوا صحته زمناً وكتبوه على حواشي التوراة امّا الآن فلم يعودوا يعتقدون صحته على ما يظهر لانهم لم يعودوا يطبعونه في النسخ المطبوعة حديثاً من التوراة . امّا كون الانسان وجد على الارض منذ أكثر من ستة آلاف سنة فالادلة عليه كثيرة مقنعة . ولكن ما قرأتموه عن اعمدة الصين لا صحة له

(٩) بشارك

ومنه . هل يمكن ان تدرجوا لنا تاريخ حياة بشارك في صفحات المقتطف
ج قد ادرجنا تاريخ حياته بما يمكن من الاسهاب في المجلد الثاني والعشرين من المقتطف

(١٠) مرض دود الفز

برج صافيتا ميخائيل افندي بشار . اخبرني احد الافاضل العارفين بامراض دود الفز ان سبب التيبس في الدود نوع من الفطر يقع عليه فيمنه بعد ان يمد اليافاً داخله فما هي معلوماتكم عن ذلك

ج تجدون في المجلد التاسع من المقتطف كلاماً مسهباً عن دود الفز وامراضه وصوره هذا الفطر في بدن الدود

الرجال وتشرب لونهم حمرة فسيبه ان الرجال اصنم عظاماً وعضلاً من النساء وان رجال الانكليز بنوع خاص يكثررون الرياضة البدنية فتكبر عضلاتهم ويتطهر دمهم وتقوى دورتهم الدموية فتتشرب وجوههم حمرة ولا يستطيع نساؤهم ان يجارينهم في الرياضات البدنية العنيفة لاسباب طبيعية . وجمال الشعب الانكليزي اخذ في الازدياد كما يظهر من المقابلة بين صور الحسان منه منذ مئتي سنة وصورهن الآن لأن ما يكتسبه الرجال من اعتدال القامة وطهارة الدم يورثونه لئس لهم ذكوراً واناثاً

(١١) قدم الانسان

صدفا . ناشد افندي جبرائيل . ذكرتم في الجزء الذي صدر في شهر مايو تحت عنوان "سكان مصر الاقدمون" ما ملخصه انه كشف في جرجا مقبرة قديمة فيها بقايا اناس سكنوا هذا القطر في ازمان مختلفة تزيد على ثمانية آلاف سنة . وذكرتم ايضاً تحت عنوان اقدم كتابة ما ملخصه انه وجدت كتابة صورية عثر عليها الباحثون على قطعة من الخرف وجدت في خرائب مدينة نبور يمتد تاريخها الى ٤٥٠٠ سنة قبل التاريخ المسيحي . وقد قرأت في احدى المجلات ان الصينيين بنون عموداً كل الف سنة وانهم بنوا الى الآن ٧٢ عموداً اي انهم شرعوا في بنائها

(١١) النقمص

مصر. الخواجه ميخائيل بساراني واولاده.
اطاعنا في مقتطف الشهر الحالي على اقتراح
لحضرة محرر مجلة لندن تحت عنوان ماذا تود
ان تكون ولدى تصفحنا المقالة المذكورة وجدنا
ردًا للمستركمكت سكوت يظهر منه انه يعتقد
بنقمص الارواح وعليه نود ان توضحو لنا ماهو
النقمص وهل تعتقدون صحته

ج نقمص الارواح اعتقاد قديم جداً
اعتقده كثير من الناس منذ عهد قديم
وهو اعتقاد البراهمة والبوذيين الآن وكثير
من امم افريقية واميركا. وخلاصته ان نفس
الانسان تحمل بعد موته في جسم طفل يولد
حديثاً او في جسم حيوان من الحيوانات او
نبات من النباتات حسبما تستحقه من السعادة
والشقاء. ويقول البوذيون ان بوذا نفسه نقمص
٥٥٠ مرة قبلما ولد اخيراً فصار ملكاً وعبدًا
وقردًا وافيلاً وطيراً وسمكة وضفدعاً ونوعاً من
الشجر. واعتقد المصريون الاقدمون بالنقمص
وكذلك اليونان وينسب عندهم الى فيثاغورس.

وشاع النقمص عند طائفة من اليهود من قديم
الزمان واعتقده بعض الفلاسفة الاوربيين
وشاهدنا اناساً من الذين يعتقدونه في اوربا
الآن فجادلونا طويلاً قالت لنا سيدة منهم ان
كانت النفوس لا تنقمص فن اين تأتي النفوس
الى الاجنة فقلنا لها هل كان عدد الناس في
غابر الازمان كما هو الآن فقالت لا بل كانوا

اقل فقلنا لها من اين اتت النفوس للذين
زادوا. فحُصرت عن الجواب. اما نحن فلا
نعتمد صحة هذا المذهب

(١٢) البراكين

ومنه. يقولون ان البراكين التي في العالم
كله نحو الف بركان ثلثها تائر فما هو سببها
وسبب ثورانها وخمودها ثم عودها الى الثوران
ج ان باطن الارض حار جداً كما
يظهر من التعمق في جوفها وكان المظنون انه
مصهور ايضاً ولكن ثبت من بعض الادلة
الطبيعية انه جامد غير مصهور ولكن فيه بقعاً
قليلة مصهورة نتصل بالبراكين والبراكين
منافس لها فاذا خسفت الارض على مقربة
منها بسبب ثقلها المستمر او بسبب الضغط
انضغطت المواد المصهورة وخرجت منها
وكذلك اذا وصل اليها ماء البحر من شق في
ارضه تمدد تمدداً شديداً بفعل الحرارة وخرج
منها ومعه المواد التي يجدها في طريقه حتى اذا
زال السبب عاد البركان الى الخمود. وسنعود
الى وصف البراكين في الجزء التالي

(١٣) التلفون اعيد

ومنه. اذا كلم تاجر في مصر تاجرًا في
الاسكندرية بالتلفون واشترى منه مئة قنطار
من صنف بسعر اتفقا عليه واصلاً الى محطة
القاهرة ثم ارتفع ثمن ذلك الصنف قبلما ارسله
فانكر انه باعه بالثمن المذكور فكيف يثبت
على المنكر انه باع بذلك الثمن

لا يمكن تقليده تماماً بل يحفظ به كلام المتكلم
وصوته تماماً غير اننا لا نرجو تحقيق ذلك من
شركة التلفون عندنا . وقد رأينا هذا النوع
من التلفون في معرض باريس ووصفناه
في حينه واستعماله أخذ في الشيوع

ج لا يمكن اثبات ذلك بالتلفون ولكن
يمكن ان يضاف الى التلفون نوع من الفونوغراف
ترسم فيه اشارات الكلمات كما ترسم في
الفونوغراف فتبقى كصك مكتوب على المتكلم
وهي اثبت دلالة من الصكوك المكتوبة لانه

باب الاحكام العلية

ييلي الذي ثار اخيراً ثار قبلُ بخمسين سنة
فاهلك وabad ثم عاد فحمد فجعل الناس يعوّدون
اليه ويسكنون حوله

وليس جبل ييلي الوحيد من هذا القبيل
فان الارض ملاءة بالبراكين بعضها خامد
وبعضها نائرٌ وبعضها بينَ بين . ففي بلاد
المكسيك براكين عديدة كانت في ماسلف
ثائرة ولكنها عادت فسكنت ومضى عليها زمن
طويل وهي كذلك . ويقال بالاجمال انه اذا
مرت مئة سنة على بركان وما تخض ولا نقياً
عدوه ساكناً

وبركان اثنا في صقلية ما زال يثور من
وقت الى آخر منذ ٣٠٠ الف سنة على الاقل
وفي الاني السنة الماضية ثار على معدل اربع
مرات كل قرن او مرة كل ٢٥ سنة

وفي الاوقيانوس المحيط وخصوصاً الاقاليم
الاستوائية الواقعة فيه كثير من البراكين نذكر
منها براكين جزائر فيجي ونيوهيريدس ولادرون

البراكين الساكنة والثائرة

نرى في عهدنا الحوادث العظيمة من
تاريخية وطبيعية فلا نستعظمها قدر ما نستعظم
الحوادث العظيمة التي جرت في العصور الخالية
وان كانت دون حوادث عصرنا عظيمة وثائراً
ويعيش في ايامنا اعظم الفلاسفة وكبار
الرجال فلا نشعر بهم ولا نقدرهم قدرهم بل
نحسبهم دون من سلفهم وان كانوا في الحقيقة
فوقهم . هذه فاجعة مرتينك فانها اودت باربعين
الف نسمة على حين غرة فلم يكن مجالاً لأحد
للهرب ولكننا لا نستكبر امرها قدر ما نستكبر
نازلة هر كولانيوم وبومباي المشهورة مع انه
كان للكثيرين من اهلها فرصة للنجاة فنجوا
ومع تعدد مصائب البراكين نرى الناس
قليلي العبرة بها عديمي الاكتراث لها فنراهم
ياوون الى البراكين ويننون لهم بيوتاً على
جوانبها فيسكنونها آمنين مطمئنين . فان جبل

والاصدقاء وهواي وغيرها منها ما هو ساكن ومنها ما هو تائر. وبين جزائر الهند الغربية عشر جزائر ذات براكين منها مرتينيك المشهورة بالفاجعة الاخيرة

وعندنا في البلدان الواقعة في بحر الروم وحوله بركان يزوف في ايطاليا واتنا في صقلية وبراكين اخرى ساكنة في اسبانيا وفرنسا والمانيا وغيرها. وقرب بلاد اليونان خمس جزائر ذات براكين. وجبل اراراط كان بركاناً في العصور الخالية. وفي جبال لبنان ومصر وحذاء البحر الاحمر مخروطات بركانية كثيرة. وفي جزيرة جاوى خمسون بركاناً منها ٢٥ بركاناً خامداً وهكذا جزائر سومطرة وبورنيو والقديسة هيلانة وكناري وايسلاندا وغيرها. وفي اميركا الجنوبية وجزائر فيلبين كثير من البراكين

واقرب البراكين النائرة الينا يزوف وقد ثار سنة ١٧٧٩ وقذف بالرماد الى علو عشرة آلاف قدم في الجو. وكان في اول العصر المسيحي خامداً مغطى بالكروم والاشجار ذات الاثمار من قوته الى اسفله فتار في اواخر القرن الاول ودمر هر كولانيوم وبومباي ثم ثار بعد ذلك بنحو الف سنة اي سنة ١٠٣٦. وفي سنة ١٦٣١ ثار ايضاً فدمر المدن التي كانت مبنية عند سفحه. ومع ذلك كله ترى الناس يطمثون اليه لا يعتبرون بما مضى ولا يحسبون حساباً لما يضره المستقبل

وسنة ١٨١٥ ثار بركان طمبورو في جزيرة سمباوى فافلق بلاد جاوى كلها وقدر الشهير هرشل انه لو جمع الرماد الذي قذفه حينئذ لتكوّن منه جبل اكبر من جبل بلانك باوربائلاثة اضعاف وبقيت تلك الجزيرة متوشحة بالظلام والقتام اياماً كثيرة وكانت صعقات الجبل تسمع في جزيرة سيلان وهي على الف ميل منها

وثار بركان ريكنانس سنة ١٧٨٣ وقذف من الحمم ما يبلغ مقداره واحداً وعشرين ميلاً مكعباً. وثار بركان كيلوس سنة ١٨٤٠ نفج منه نهر من الحمم طوله اربعون ميلاً ولو جمعت المواد التي جرت منه في ارض مساحتها ميل لعلت عليها ٨٠٠ قدم ولما ثار بركان كوسكوينا في نيكارجوى سنة ١٨٣٥ سمع قصفه في جزيرة جاميكا على بعد ٨٠٠ ميل. وجبل سوفريير التائر الآن في جزيرة سنت فنسنت ثار سنة ١٧١٨ وسنة ١٨١٢. ولما ثار سنة ١٨١٢ سمع اهالي جزائر بربادوس صوته جلياً وهم على بعد ٨٠ ميلاً عنه فظنوه صوت مدافع الاساطيل الفرنسية والامانية بسبب شدته وغطى الجزيرة حينئذ برماده لكن الناس نسوا ذلك حينما خمد وعمرها ثانية

انفجار بالون سفيرو

فصلت الجرائد العلمية انفجار بالون سفيرو

مباني المحدثين

نعجب بمباني اسلافنا شديد الاعجاب لاننا نرى الفرق عظيمًا جدًا بينها وبين مبانينا فيبوت السكان ومعايهم في لقصر وادفو وبعليك بالنسبة الى هياكل الاقدمين فيها كنسبة الطفل الصغير الى الجبار الكبير او كنسبة الكوخ الحقيقير الى انخم القصور ولكن من يجل في عواصم اوربًا واميركا يزُل من نفسه اكثر ما يراه من الاعجاب بمباني الاقدمين . فاننا نضرب المثل باعمدة بعليك والكرنك ولكن العمود من اعمدة بعليك مؤلف من ثلاثة حجارة عدا قاعدته وتاجه . والعمود من اعمدة الكرنك مؤلف من حجارة كثيرة اما في عواصم اوربا واميركا فتجد اعمدة تكاد تماثلها طولًا وثخنًا وهي حجر واحد . وقد اطلعنا الآن على صورة بناء بني في مدينة نيويورك باميركا اعمدته مضلعة بتيجان كورنثية وهي من حجر الغرانيت الصلب طول العمود منها ٣٦ قدمًا وقطره اربع اقدام وعقدتان وثقله اربعون طنًا وهو حجر واحد وفوقه تاج ارتفاعه ست اقدام مصنوع من قطعة ثقلها ١٩ طنًا وتحت قاعدته علوها قدمان وثقلها ٦ اطنان وهذه الاعمدة ممتدة على واجهة البناء كله

مضار المثلوجات

نريد بالمثلوجات كل مادة يستعمل الثلج لتجميدها او تبريدها كالدندرمة (البوزه)

الذي ذكرنا خبره في الجزء الماضي فقالت انه صنع في معمل بياريس اسمه معمل لاشامبر حيث صنعت بالونات سنتوس ديمون قبله وكان شكله على شكل سيجارة وسعته ثمانون الف قدم مكعبة من الغاز فملاه غاز الهيدروجين قبل ركوبه بعدة ايام وجربه فاعجبه وكان الجو غائمًا والرياح شديدة فبات ينتظر انقلاب الحال حتى يتمكن من ركوبه والصعود به الى الاعالي

وفي مساء ١١ مايو الماضي صحا الجو وانقشعت الغيوم فاستعد ذلك الليل لركوبه . وفي فجر اليوم التالي ركبه هو وآخر معه فصعد بهما الى الجو بسرعة عظيمة وكانا يريان ما فيه من اكياس الرمل لكي يخف حتى اذا بلغ بهما علو الف قدم وذلك بعد صعوده ربع ساعة انفجر فرأى المشاهدون على الارض لسانًا من اللهب امتد من البالون وراوا بعده دخانًا ابيض ثم سمعوا صوتًا قويًا ثم احاط اللهب بالبالون فاحترق وسقط في شارع دومان . اما سفيرو فقد قال الذين شاهدوا سقوطه انه مات حالما سقط الى الارض واندق لجمه بعضهم . واما رفيقه فمات احتراقًا في الهواء قبل وصوله الى الارض

وسفيرو هذا برازيلية وعائلته من اغني العائلات في البرازيل وواجهها وقد درس في الكليات الكبيرة وعين عضوًا في مجلس نواب البرازيل سنة ١٨٩٣ وبقي عضوًا الى يوم موته

مركوبي والتلغراف

قال مركوبي مخترع التلغراف الذي لاسلك له أنه اخترع اداة كهربائية شديدة التأثير بالامواج الكهربائية يقرأ بها ثلثون كلمة في الدقيقة بتلغرافه وان سبع عشرة باخرة من بواخر الاوقيانوس الاتلنتيكي واربعين بارجة من البوارج البريطانية ثقتني الان عدته التلغرافية وتعمل عليها وان باخرتين من تلك البواخر تكسب كل منهما ٦٠ جنهما من ركابها في كل سفرة من سفراتها بين اوربا واميركا بارسالها رسائلهم التلغرافية من وسط البحر الى ذويهم في اوربا واميركا

وقد جعل ركاب البواخر الماخرة بين اوربا واميركا يستعملون التلغراف الذي لا سلك له واسطة للتسلية بين ركاب باخرة واخرى . ففي اوائل هذا الشهر كانت باخرتان سائرتين من اوربا الى اميركا وبينهما مسافة سبعين ميلاً فتخاطب ركابهما بالتلغراف الذي لا سلك له على ان يلاعبوا الشطرنج معاً فجلس رجل انكليزي في الباخرة المسماة "كمانيا" امام رقعة الشطرنج ونقل عليها يذقاً من البياذق واخبر بعض الركاب في الباخرة الاولى "فيلا دلفيا" بما فعل باشارة برقية فنقل هذا قطعة على الرقعة التي امامه واخبره كذلك . وقضى اللاعبون خمس ساعات وهم يلعبون ثم انقطعت المواصلات البرقية بين الباخرتين

وغيرها من المشروبات المبردة . فقد اقبل الصيف بهجيره وكثر عملها في المنازل الخصوصية والحلات العمومية تخفيفاً للحر على ان لها مضاراً لا يصلح السكوت عنها وخصوصاً ما عمل منها بالقشدة واللبن وغيرها من المواد القابلة للفساد الناقلة لجراثيم الامراض والعدوى فقد يشربها الانسان وهي مشوبة بالجراثيم من حيث لا يدري ان السم في الدسم فيذهب ضحية لذته

ومما يذكر في هذا الصدد ان الجريدة الطبية الانكليزية كتبت مقالة في هذا الموضوع قالت فيها ان الدكتور كلين فحص شيئاً من الكريما والماء الذي تغسل به آيتها فحاصاً بكتيريولوجياً فوجدهما مملوءين بالوف الجراثيم . وذكرت ان عشرين نفساً في انتورب بالبلجيكا اكلوا الكريما فظهرت فيهم اعراض السم وهناك سبب آخر للضرر لا يجوز الاغضاء عنه فقد تكون القشدة واللبن وغيرها من المواد التي تصنع المثلوجات منها سامة من كل شائبة ومع ذلك يصاب كثيرون بالامراض على اثر اكلها بتداول الكاسات والملاعق من يد الى يد ومما يجب التنبيه اليه ان التجديد لا يمت الجراثيم المرضية كما قد يظن الكثيرون بل يعوقها عن العمل وقتياً ولكنها لا تلبث ان تصير شرّاً من ذي قبل اذا ارتفعت درجة الحرارة حولها في الوسط الذي تسبح فيه . فيجب من ثم الانتباه الى غسل الآنية والملاعق جيداً عند استعمالها

التي نفس اي نصف عشر الذين قتلوا في
مرتينيك

ترعة نكارجوى والبراكين

بجست الحكومة الاميركية منذ مدة قصيرة
في مشروع حفر ترعة تصل الاوقيانوس
الاتلنتيكي بالمحيط وفي المكان الذي تختاره
لذلك فعزمت ان تشتري امتياز ترعة بناما
من الشركة الفرنسية صاحبة الشأن . ولكن
قام بين الاميركيين قوم يفضلون ترعة
نكارجوى عليها لاسباب لاحاجة الى بيانها
فاقتنعت الحكومة بذلك وعولت على مشتري
ارض التربة من حكومة نكارجوى وفتح ترعة
هناك . فلما حدثت فاجعة مرتينيك ودوى
خبرها في جميع الاصقاع ووصل اثرها الى
الجزر والبلاد المجاورة لها ومنها ارض بناما
ونكارجوى قام العلماء يفتحون مسألة الترعين
من جديد ويحذرون ويقولون ان الواجب على
الحكومة ان تختار لفتح التربة مكاناً يدل
تاريخه الماضي وطبيعة ارضه على انه غير
معرض لنوب الزلازل واعراض الحوادث
البركانية . اما برزخ بناما فغاية ما يقال عنه
انه لم يطرأ عليه طارئ مفاجئ في البتة منذ
ظهر الانسان على وجه هذه البسيطة وانه لا اثر
لفعل البراكين فيه وللبراكين نفسها ساكنة
كانت او تائرة الا على بعد ١٨٠ ميلاً عنه .
واما نكارجوى فقد عرفها الانسان مركزاً

الابرة الكهربائية والمعادن

اخترع المستر اديسن ابرة كهربائية تدل
على الفلز في باطن الارض يميلها عن وضعها
الاصلي وتعين مكان الفلز بالتدقيق بمقدار
ميلها وقد ارسل جماعة الى الجهات التي تكثر
فيها مناجم النكل في كندا ليحربوها فيها

المال والوقت

اخذ كثيرون من مشاهير رجال الاعمال
يستعملون مركبات الاتوموبيل للركوب بين
منازلهم ومحلات اشغالهم للاقتصاد في الوقت
وزيادة الدخل . منهم رجل اميركي من
اصحاب الملايين فانه يقطع المسافة بين منزله
ومكتبه وطولها ٤ اميلاً مرتين في اليوم باحدى
وعشرين دقيقة وقد قال ان ما يكسبه من
الوقت بذلك يساوي نصف مليون ريال
سنوياً على القليل . فتأمل الفرق بين قوم
يستريحون وينامون وياكلون ليعيشوا وقوم
يعيشون ليستريحوا ويناموا وياكلوا

خرائب بومباي

نشرت جريدة السينتفك اميركان صورة
خرائب بومباي كما هي عليه الآن وقالت ان
المدينة خربت بزلزلة سنة ٦٣ لميلاد ثم جددت
مبانيها العمومية على نسق واحد وقبل ان يتم
بناؤها فاجأها البركان فطمرها بالحلم والوحل
وهطل بعده مطر غزير فلم يحترق ما فيها من
الخشب بل فحم ولم يزد عدد من قتل بها على

الكهربائية والحياة

اول انسان انتبه الى الفعل الكهربائي في الكهرباء اذا فُرِكت نسبة الى قوة حيوية . ثم لما انتبه كلني الى ما سماه بالكهربائية الحيوانية قال بوجود ارتباط بين الكهرباء والحياة او الفعل الحيوي . ولا يزال هذا الخطر يخطر على بال العلماء ولكنهم لم يجدوا سبيلاً الى تحقيقه الا الآن . فقد ذكرنا غير مرة ان بيض السمك الذي لم يُلَقَّح ينمو ويتولد منه سمك اذا وضع في ماء فيه بعض المواد الكيميائية ان البيض يحيا وينمو على غير ما عُرِف بالاستقراء لان الاستقراء اثبت انه لا يتولد حي من الاحياء المرنقية الا من ذكر وانثى . ثم ظهر الآن ان نمو البيضة كذلك ناتج عن فعل كهربائي فان المادة الكيميائية التي تكون في السائل تؤثر في البيضة تأثيراً كهربائياً يجعل الجرثومة تتحرك وتغتذي وتنقسم اي تظهر فيها الحياة وتسير في طريق النمو والتكامل . كائن الدقائق التي تتألف منها الجرثومة تكون منفصلة بعضها عن بعض بقوة كهربائية فانها تكون مكهربة بالكهربائية الايجابية ويكون السائل الذي هي فيه مكهرباً بالكهربائية السلبية فتبقى دقائق الجرثومة منتشرة في السائل فاذا ازيلت كهربائيتها انضمت بعضها الى بعض وهبطت الى اسفل السائل او طفت على وجهه . وتزال كهربائيتها

دائماً للهزات والزلازل وعلى طول طريقها سلسلة من البراكين ظهر من الدلائل الكثيرة ان بعضها يضمر شراً جسيماً . يكفي شاهداً على صحة ذلك بركان كوسكوينا الواقع الى الشمال الغربي من نكارجوى فانه ثار منذ اربع وستين سنة وقذف من فيه بالرماد والحجم مدة يومين كاملين وقد قدر احد العلماء انه كان يقذف كل ست دقائق منها ما يساوي كل ما يمكن حفره من ترعة نكارجوى من التراب والاحجار . وسمع صوته الى بعد الف ميل ووقع من رماده على بعد ١٤٠٠ ميل منه . وبعد ذلك بسبع سنوات حدثت زلزلة هائلة دمرت مدينة ريفاس تدميراً وهي على بعد خمسة اميال فقط عن مكان التربة

ويقال ان الحكومة الاميركية لا بد ان تدبر هذه الاعتراضات وتنظر فيها قبل بت حكمها في المسألة

وقد جاءت التلغرافات بعد كتابة هذه السطور تنبئ باختيار الحكومة الاميركية طريق بناما

دود الحرير في ايطاليا

اشتد البرد وكثر سقوط الثلج في اقاليم ايطاليا الشمالية الشرقية فافضى ذلك الى موت دود الحرير كله والى افلاس كثيرين من الفلاحين بسبب ذلك

صارت هفانا بفضل الاصلاح الجديد جنة زاهرة بعد ان كانت قرارة اقدار

صهر الكوارتز

يفضل الكوارتز على الزجاج في صنع بعض الادوات منه وخصوصاً الادوات الدقيقة اللازمة للتجارب الطبيعية التي تستخدم معها الحرارة الشديدة. ولكنه فلما يستخدم في تلك الاعمال لصعوبة صهره. غير ان احد علماء الاميركيين اهتمدى اخيراً الى صهره بالاتون الكهربائي. اما وجه افضليته على الزجاج فهو انه يمكن تغطيسه في الماء البارد بعد ان يحمى الى اعلى درجة يمكن احماؤه اليها ولا يتشقق خلافاً للزجاج كما هو المشهور

رحلة زجاجة

كتب رجل من الينويس وهي ولاية من الولايات المتحدة الاميركية الوسطى كتاباً وضعه في زجاجة ثم سدّها والقاها في نهر ماكنو وكان ذلك في ٢٧ يناير سنة ١٩٠٠. ومنذ مدة قصيرة وجدها رجل في كاليفورنيا وهي احدى الولايات المتحدة الاميركية الغربية على ساحل الاوقيانوس المحيط ففتحها وقرأ الكتاب المذكور وفيه يطلب صاحبه من يجد الزجاجة أن يخبره بزمان وجودها ومكانه. فبعث اليه يخبره بذلك. اما كيفية وصول الزجاجة الى كاليفورنيا فهي انها جرت مع نهر ماكنو حتى ملقاه نهر الينويس ثم الى نهر

امّا يجرى كهربائي يعدّها او بدقائق مكهربة بالكهربائية السلبية (شوارد) تنتشر بينها. واذا كانت دقائق الجرثومة مكهربة كهربائية سلبية فيتم اجتماعها يجرى من الكهرباء الايجابية الايجابية او شوارد مكهربة بالكهربائية الايجابية ويظهر ممّا تقدّم ان كثيراً من ظواهر الحياة في الجسم الحي يعلّل بان الافعال الكيميائية الطبيعية تولّد قوة كهربائية في الشوارد التي في الجسم وهذه تولد قوة حيوية في دقائق الجسم

الاميركيون في كوبا

شرع الاميركيون منذ احنلوا كوبا في اصلاح مدينة هفانا عاصمتها فاخربوا العشش والاكواخ القديمة التي كانت مستنباتات لجراثيم الكوليرا ورممو شوارعها الثالثة ومصارفها بعد ان كانت لا تصلح لشيء وطهروا منازل الاهالي رغماً عما لقوا من الاعتراض والمقاومة ونظموامستشفياتها التي كانت شرّاً من عشمها ونظفوها فصارت صالحة للترريض بعد ان كان لا يخرج منها اكثر من ٣٠ في المئة من المرضى الذين يدخلونها. وقد كانت الحمى الصفراوية تفتك باهلها فتكاً ذريعاً في سنة ١٨٩٦ مات بها ١٢٦٢ نفساً منهم وكان متوسط الذين يموتون بها في الاحدى عشرة سنة السابقة للاحنلال الاميركي ٤٤٠ نفساً في السنة فلم يمت بها السنة الماضية ٥ انفس. وعليه

رجلاً من صنّاع مداخن المصابيح اهتدى الى عمل الزجاج اللين ويقال انه يمكن صنع آنية الطنج منه

منع تصادم السفن

اخترع رجل روسي آلة لمنع تصادم السفن في البحر توضع امام السفن في سيرها وتدلّ على وجود العوائق في سبلها طافية كانت او راسية كالصخور وعلى الطريق التي يجب على السفن ان تسير فيها عند وجود العوائق المذكورة

انهر الماء العالي

جعل الماء يجري سحناً غالياً في انهر مرتنيك وزاد مقداره حتى صار ثلاثة اضعاف ما كان قبل الثوران

المغالة بالصور

لما صور المصور مله صورته انجلس باعها بالف فرنك . ثم بيعت بالمزاد العالي بخمسة مئة الف فرنك اشتراها رجل اميركي ثم استردها رجل فرنسوي فدفع ثمنها مليون فرنك

تجارة افريقية

اما الآن وقد وضعت الحرب اوزارها في جنوب افريقية ومدّ السلام رواقه فوقها فقد عاد الناس يهتمون بحركة الاعمال والاشغال فيها من تجارية وصناعية وغيرها. فان الترنسفال

مسيبي الشهير فجرت فيه جنوباً حتى خلع المكسيك ودخلت الاوقيانوس الاثنتيني فقاذفتها تياراته وحملتها جنوباً على محاذة الساحل الشرقي من اميركا الجنوبية وارتدت بها غرباً حول رأس هورن وهو اقصى الطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية ثم شمالاً في المحيط على محاذة الساحل الغربي من اميركا الجنوبية الى ان بلغت كليفورنيا في اميركا الشمالية . فقطعت بذلك مسافة عشرة آلاف ميل ولم تؤثر فيها تيارات اليم العظيم

سائل جديد للنور والحرارة

روت جرائد مونيخ بالمانيا ان رجلاً كيمانياً في همبرج اكتشف مادة سائلة اذا اضيفت الى الماء القراح تكون من ذلك سائل لا يستطيع احد ان يميزه عن زيت البترول ويمكن استعماله لتوليد النور والحرارة واذا اشعل في المصابيح العادية ذات الفتائل كان نوره ابيض ومضاعف نور البترول في الشدة وهو غير قابل للاشتعال السريع كالبتترول . ويقال ان شركة انكليزية تألفت في لندن لفحصه . وحتى الآن لم نقرأ ما يثبت هذا الخبر

الزجاج اللين

يقال ان المصريين القدماء كانوا يعرفون طريقة عمل الزجاج اللين ثم جهلت من بعدهم ولم يبتد احد اليها . وقد ذكرت السينتفك اميركان نقلاً عن جرائد اميركا اليومية ان

املاك المانيا و ٧٢٢ ٠٠٠ ٤ املاك ولاية الكونغو الحرة . وقد بلغ ثمن ما اصدرته الولايات المتحدة الى الاملاك المذكورة في السنة الماضية ٥ في المئة من مجموع الواردات او ٦٣٧٧ ٨٤٢ ريالاً وكان ٢٥ ٥٤٢ ٦١٨ ريالاً سنة ١٨٩٥ . والسبب في هذه الزيادة كثرة طلب الآلات للتعدين في جنوب افريقية فان ارباب المناجم يوصون المعامل الاميركية بصنع الآلات اللازمة لهم اقتصاداً في الوقت والمال . واشهر ما في جنوب افريقية مناجم الماس والذهب فيخرج من مناجم الماس في كمبرلي ٩٨ في المئة من الماس الذي يباع الآن في اسواق المسكونة مع انها لم تكن تعرف قبل سنة ١٨٦٧ ويقدر ثمن الماس الذي اخرج منها حتى الآن ٣٥٠ مليون ريال قبل جلائه وسبع مئة مليون ريال بعد جلائه وامر مناجم الذهب اغرب من ذلك فانه اخرج منها سنة ١٨٨٤ ما يساوي عشرة آلاف جنيه وسنة ١٨٨٨ ما يساوي مليون جنيه وسنة ١٨٩٠ ما يساوي مليوني جنيه وزاد المستخرج بسرعة حتى بلغ ما استخرج منها سنة ١٨٩٩ احد عشر مليوناً من الجنيهات وبلغ المستخرج من مناجم الرند من حين اكتشافها سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٩٨ ستين مليوناً من الجنيهات والمظنون ان هناك من الذهب ما يساوي سبع مئة مليون من الجنيهات

كانت قبل الحرب من البلاد التي كثرت المهاجرة اليها كالولايات المتحدة في اميركا الشمالية والبرازيل في الجنوبية وما ذلك الا لكثرة الاعمال فيها بسبب مناجم الذهب المشهورة فلما شمرت الحرب وقف دولار الاعمال مدة ٣٠ شهراً ودار دولار سفك الدماء والآن عادت المياه الى مجاريها وما الدهر الا منجنوناً باهله

وقد سمعنا بالامس بعضهم يتحدثون النفس بالسفر الى تلك البلاد سعياً في الكسب وطلب الرزق . ولما كان كثيرون محبوبون الاطلاع على حالة افريقية التجارية عموماً رأينا ان نلخص ما ورد في التقرير الاحصائي الذي اصدره مكتب الخزانة في الولايات المتحدة الاميركية

فقد جاء فيه ان تجارة افريقية كلها تبلغ ٧٠٠ مليون ريال منها ٤٢٩ مليوناً ثمن الواردات . وثلاثة ارباع هذه الواردات يدخل افريقية من موانئها الشمالية والجنوبية ومعظمها يستهلك في البلدان الشمالية والجنوبية ولما كانت هذه البلدان اما خاضعة لانكلترا كبلاد الراس او تحت ادارتها كصغر فمعظم التجارة طبعاً في يد انكلترا

ومن الواردات المذكورة ١٥٧٥٧٥٠٠٠ ريال تدخل املاك انكلترا و ٩٢٠٠٤٠٠٠٠ املاك فرنسا و ٧٧٧٨٧٠٠٠ املاك تركيا و ٢٠٧٩٥٠٠٠ املاك البرتغال و ٨٣٣٦٠٠٠

نتويج ملك الانكليز

كانت الامة الانكليزية قائمة قاعدة في هذا الشهر تستعد للاحتفال بتويج ملكها نتويجاً لم تسمع بمثله اذن ولم يخطر على بال انسان فدعت اساطين الامم واساطيلها من اقضاء الارض الى اقضاءها للاشتراك فيه وبيننا هي نائمة عن الزمان وطوارق الحدثن اذ رمقها الزمان بعينه التي لا تنام فاصابت منها الرأس واعنلت بذلك سائر الاعضاء

عينت اليوم السادس والعشرين من هذا الشهر للاحتفال بتويج ادورد السابع ملكاً لبريطانيا العظمى وامبراطوراً للهند ولكن لم تكد الشمس تبلغ المدار الصيفي وتنزل برج السرطان حتى اصيب الملك بثرقة في التسبج الخلوي حول المعى المعروف بالاعور من التهاب الزائدة الدودية فاقضى الامر عملية جراحية له اذ لم يعد يقوى على احتمال حفلات التويج فتبدلت افراح الامة انراحاً وشاركتها في ذلك سائر امم الارض ونزعت معالم الزينة ومعداتها. وقام بهذه العملية اللورد لستر الجراح المشهور ومعه نخبة من جراحي الانكليز لخص بالذكر منهم الجراح تريفس المشهور بهذه العملية. ويظهر من التفراقات ان الالتهاب انحصر في مكانه وجلالة الملك يتماثل الى الصحة وقد زال الخطر عن حياته

اكرام العلماء

يرى القارىء في باب المراسلة في هذا الجزء كلاماً مسهباً عن ثابت بن قرة الفيلسوف الصائى الحراني. والصائبة شيعة دينية ضعيفة الشأن جداً لكن ضعف قومه لم يكن ليحيط من منزلته في العصر الذي كان عصر العلم والعرفان في الممالك العربية فان الخليفة كان يحل قدره ويجلسه بين يديه ووزيره قائم. ويقول له ان العلم يعلو ولا يُعلى عليه. ولما مات رثاه شعراء عصره ولم يلتفتوا الى انه من الصائبة كان الفوارق الدينية لم يكن لها اقل شأن في ذلك العصر بل كان الشأن الاكبر للعلم والفضل. ولا غرو اذا افلح قوم جروا على هذه الخطة واخفق قوم جروا على ضدها

تجارة السماني والبيض

بلغت قيمة ما اصدر التجار في هذا القطر من السماني الى الاقطار الاخرى ١٣٧٩٤ جنينياً مصرياً سنة ١٨٩٨ و ١٥٠٥٤ جنينياً مصرياً سنة ١٨٩٩ و ١٣٩٣٧ جنينياً مصرياً سنة ١٩٠٠ و ١٩٢٦٨ جنينياً مصرياً سنة ١٩٠١

وبلغت قيمة ما اصدروا من البيض ٣٤١٧٧ جنينياً مصرياً سنة ١٨٩٨ و ٤٣٢٤٤ سنة ١٨٩٩ و ١٨٠٩٠ سنة ١٩٠٠ و ٨٠٩٩٠ سنة ١٩٠١

فهرس الجزء السابع من المجلد السابع والعشرين

٦١٧	السلم في بلاد البوير (مصورة)
٦٢٢	السيد عبد الرحمن الكواكبي (مصورة)
٦٢٥	نشأة اوربا المدنية
٦٣٠	نظام الملك والمدرسة النظامية . لمحمد افندي كرد علي
٦٣٥	توما ريت واسعاد المجرمين . لمصري افندي قندلفت
٦٤٠	اشارات الخطابة . لاسكندر افندي عجمي
٦٤٤	العمل والراحة
٦٤٨	الصحيح من الفراسة
٦٥٣	انتقاء الانفاظ . لفارس افندي الخوري
٦٦٢	الانتجار الديني في روسيا
٦٦٥	عروسة النيل
٦٧٨	محمد علي باشا

٦٨٥	باب الزراعة * مناظرونا في الزراعة . الاراضي الزراعية في القطر المصري . مرض الفطن . زرع الغابات في مصر . السماد والقمح (مصورة) . تسجيد الذرة (مصورة)
٦٩٢	باب المراسلة والمناظرة * عائشة تيمور . كريمة قوم . العصي . البحر . مدرسة طرابلس الشام الاميركية . ثابت بن قرّة المحراني . اغنى اغنياء الدنيا
٧٠٦	باب المسائل * العنب والرمان والورد من البذر . التنويم المغنطيسي . شروط السلم . كتاب الفلسفة العقلية . البلغم والمدخنون . رائحة عقب السيكرة . جمال الانكليز . قدم الانسان . بسمارك . مرض دود الفز . النقص . البراكين . التلفون المتقيد
٧١٠	باب الاخبار العلمية * وفيو ٢٢ نيلة